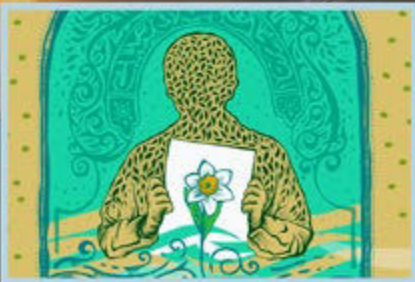


الصَّراط

الرقم الـ ١٤٦

جمادي الأولى ١٤٤٨



من هم
المنظر الحقيقي

الانطباعات الأسطورية

العمل والجزاء



قالت فاطمة الزهراء (عليها السلام):

«... والله لو تركوا الحق على أهله واتبعوا عترة نبيه لما اختلف في الله اثنان، ولورثها سلف عن سلف وخلف بعد خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين...»

«بحار الأنوار»، ج ٣٦، ص ٣٥٣.



«شهرية صراط الإلكترونية»

إيران - طهران

ص. ب:

فاكس:

١٤١٥٥-٨٣٤٧
+٩٨٢١٦٦٤٥٩٠٢٣

المواقع:

البريد الإلكتروني:

email: mouoodasr@gmail.com

www.mouood.org

https://www.facebook.com/mouood.org

الفهرس

منوعات

عوالم الإنسان ومنازله: العمل والجزاء / ٤

الشعر والأدب: فكسر الباب أولهم / ٦

وظيفة الدين في الحياة - خصائص العقيدة الدينية: بواعث الفطرة إلى التدين: الرهبة والموت / ٧

معجزات القرآن: تحريم الدم ولحم الخنزير / ٩

الدراسات الثقافية

الفكر، الثقافة و الأدب، الحضارة: الانطباعات الأسطورية (الرؤية الأسطورية) / ١٠

الاستعمار في مرآة التاريخ (الجذور، الآليات، الآثار) - باب الاول - الحاضر والتاريخ: دور الوثنية / ١٢

خفض أضرار الإعلام والفضاء الافتراضي داخل الأسرة: التحصين الأسري في عصر الفضاء الافتراضي - القسم الثالث / ١٦

الماسونية بين الحياة السياسية والإجتماعية للشعوب: الأريستقراطية السوداء / ١٩

البيت والأسرة - مراحل التربية: مرحلة الوزارة / ٢٢

الدراسات المهدوية

دعوي السفارة - مفهوم الغيبة بين الافراط والتفريط: شواهد التصدي للإمامة الفعلية / ٢٤

التعاليم المهدوية - الظهور وآخر الزمان: آمال آخر الزمان / ٢٦

إلى اللامتناهي - الخريطة الإلهية العامة: طلب مواكبة الثائر لدم الحسين (عليه السلام) / ٢٨

الامام المهدي (عليه السلام) و مستقبل العالم: من هو المنتظر الحقيقي للإمام المنتظر (عليه السلام) / ٣٠

تكاليف الأنام في غيبة الإمام (عليه السلام): الإستغاثة بالامام (عليه السلام) و التوجه إليه و عرض الحاجة عليه / ٣٢

الحياة الإيمانية

المستبصرون: ماري كروفر (مريم آقا باب) / ٣٤

الحقوق الاجتماعيه في الاسلام - الحقوق الاجتماعية ذات الصبغة الأخلاقية: حق الجليس / ٣٦

مفاتيح الحياة: صلة الرحم / ٣٧

حلية المتقين: آداب النظر إلى المرأة / ٣٧

الولد و الوالد: برّ الوالدين - القسم الثاني / ٣٨

الدراسات الشيعية

الحياة الفكرية و السياسية لائمة اهل البيت (عليهم السلام) - اهل البيت (عليهم السلام): الامام علي (عليه السلام): تحرك الامام لاحياء الدين / ٤٠

المقام الغيبي في الامامة - الامامة في القرآن الكريم: الإمامة في ضوء آيات الهداية والملك / ٤٣



العمل والجزاء

العمل والجزاء في المنظور القرآني والروائي

ما ورد في الآيات والروايات من أن دار الدنيا هي التي يترتب عليها الجزاء وتحدث من خلالها الأعمال، ليس على إطلاقه، بل ظاهر الأدلة خلاف ذلك. فقد ورد المضمون المعروف عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «اليوم عمل بلا جزاء، وغداً جزاء بلا عمل». ولكن هذا المضمون لا يفيد الحصر، بمعنى أن ما قبل الدنيا ليس هناك عمل ولم يترتب عليه أثر.

عالم الميثاق والعوامل السابقة وأثرها في المقامات

هناك مفادات عديدة من طوائف الأحاديث، منها أن سيد الأنبياء ﷺ إنما فاق بقية الرسل لأنه أول الأنبياء إجابة في عالم الميثاق، أو في عالم الذر، حيث نصت الآية الكريمة على امتحان الله تعالى للخلقة: «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ»^٢ فبحسب السبق والتقدم في الإجابة رتبت تلك المقامات.

التكامل في البرزخ

نعم، يتكامل الإنسان في البرزخ، وهناك نوع من السير والمسير التكاملي يشهده البشر في البرزخ. فمثلاً، بعض النفوس التي تدخل جهنم إذا ارعوت عن عنادها ولجاجها يفرج عنها وتخلص من جهنم، بخلاف التي تلج وتعاود وتوغل في العناد مع الباري تعالى، فتلك أنواع الخلود. وهذا مما يدل على أن العمل المنفي في الآخرة هو العمل باختيار وسيع بالنمط الموجود في دار الدنيا بحرية واختيار.

تضييق دائرة الاختيار في العوالم اللاحقة

الذي يظهر من مجموع الأدلة أن دائرة الخيار والاختيار في البرزخ أو في الآخرة تضييق بحسب موجبات ضاغطة من نتائج الأعمال في دار الدنيا. وبعبارة أخرى، الخيار في عالم الميثاق السابق لعالم الدنيا أو عالم الذر كان بشكل وسيع أكثر عما هو بحسب دار الدنيا. وهذا الاختلاف في دائرة الاختيار يشاهد في مسيرة الوجود وانتقال الطبيعة الإنسانية من عالم إلى آخر، فكلما تنتقل من عالم إلى آخر تكون محكومة بتأثيرات وأحوال سابقة في تلك العوالم، فبالتالي يضييق الخيار والاختيار. فيتصف حينئذ ويحمل عنوان «جزاء بلا عمل» على هذا المعنى: أي العمل الذي له أفق من الاختيار والخيار، بحيث يستطيع الإنسان أن يتحكم بسهولة في سكان نجد الخير أو نجد الشر. وأما في المسير التكاملي، فإن للخيار والاختيار نحو من التأثير، فنشاهد بعض حالات الاختيار في بعض الأدلة.

سلب الاختيار بسبب الملكات الرذيلة

هناك طائفة كثيرة من الأدلة تدل على أن أولئك الذين جنوا أعمالاً سيئة، تلجأهم تلك الملكات الرذيلة والقبیحة والسيئة على أعمال السوء في الآخرة، وتسلب منهم اختيار الفضيلة وخيار الخيرة. نظير الحالة في إبليس، مثل قوله تعالى:

«إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ»^٣

وغيرها من الموارد. وهذا ملحوظ في العديد من الدلالات، ولكن جملة من الآيات أو الروايات يظهر منها أن مقداراً من مسير التكامل والسير التكاملي يمكن أن يلمح في الآخرة وفي البرزخ.

الهوامش:

١. سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

٢. سورة الحجر، الآية ٣٠.

المصدر: السند، الشيخ محمد، «عوالم الإنسان و منازل، العقل العملي و قضاياه»، بيروت، دار الاميرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، مع تصرف يسير.



بواعث الفطرة إلى الدين: الرهبة والموت

واليوم لا نحس بذلك، ولا تلمسه في النفس الإنسانية، وبالتالي فلا حاجة للدين اليوم؟

والجواب على ذلك أن هذا الإحساس بالرهبة كان ولا يزال وسيبقى، لأنه نتيجة حتمية للعجز الذي يتركب منه الإنسان بفطرته وملكوته وإمكانيته، ولكن هذه الرهبة تغيرت بواعثها، ففي القديم خاف الإنسان من خسوف القمر وكسوف الشمس، وأصابته الرهبة من الرياح والأعاصير والعواصف، ووقف يرتجف من بعض الحيوانات المفترسة والوحوش الكاسرة، وخشي من القحط والجذب وقلة المطر وجفاف الأنهار...

أما بواعث الرهبة اليوم فلم تقتصر على ما سبق، وإنما تتحقق في نفوس العلماء الذين وصلوا الليل بالنهار، كل في اختصاصه، ثم وصلوا إلى الطريق المسدود، ووقفت الوسائل، وعجز العلم أمام اللغز المحير، وأدرك كل عالم أن وراء ذلك قوة كاملة، وإرادة منظمة، وعقلاً واعياً، وعظمة وراء ذلك قوة كاملة، وإرادة منظمة، وعقلاً واعياً، وعظمة مطلقة، مثل تفجير الذرة، ومرض السرطان وبقية الأمراض المستعصية، ومعرفة تركيب العين، والسر في انسجام أعضاء الجسم، ولفظ الأعضاء الأجنبية عند نقل الكلية أو القلب... والصبغيات في تكوين الجنين، والخلايا في المخ والدماغ، وعصب العين.

بينما تعريف الدين لغة و تعريف الدين عند الغربيين و استعماله الشائع و تعريف الدين عند علماء المسلمين و قلنا المفهوم الصحيح للدين الذي استعمله القرآن الكريم و خصائص العقيدة الدينية و قلنا بعض الأدلة الفلسفية على الغريزة الدينية قلنا من دوافع الفطرة إلى التدين الإحساس بالخوف والرهبة أمام هذا الكون العظيم وما يجري فيه، مما يحرك أحاسيس الإنسان، ويوقظ مداركه، ويدفع عقله - بالغريزة والفطرة - لبحث عن خالق الكون فيأنس به، ويطمئن قلبه عنده، ويهدأ روعه وخوفه، ويأمن جانبه، ويعقد أواصر التقرب له، ثم يقدم الطاعة والعبادة العظيمة، وهذا هو الدين.

و قلنا آيات متعددة إلى هذا الكون العظيم وما فيه من أجرام ومشاهد ومخلوقات تستحق الوقوف أمامها، ويقف الإنسان عندها مشدوهاً عاجزاً لا يملك حراكاً ولا عطاء، بل جاءت بعض الآيات الكريمة تتحدى مظاهر الكون والطبيعة والإنسان على أن تخلق نفسها أو تخلق غيرها أو تملك النفع أو الضرر لنفسها أو غيرها و قلنا آيات المتعدد حولها. و هنا نريد أن نقول بواعث الرهبة.

إن هذه الرهبة كانت في القديم، فأثارت نفس الإنسان البدائي، فاندفع إلى التدين ليأمن من خوف الطبيعة والكون،



حتى أتوا بهم إلى عتيق
أكرم بأسادٍ وليث غاب
سارت بهم نوايح الكلاب
إلى ابن أوس بل إلى خنزير
أعزز عليّ ذاك من مسير
يا حسرةً من ذاك في فؤادي
كالنار يذكي حرها اعتقادي
وقتلهم فاطمة الزهراء
أضرم حرّ النار في أحشائي
لأن في المشهور عند الناس
بأنها ماتت من النفاس
وأمرت أن يدفنها ليلاً
وأن يعمّى قبرها لكي لا
يحضرها سوى ابن عمها
ورحطه ثم مضت بغمها
صلّى عليها ربها من ماضيه
وهي على الأمة غير راضيه
فبايعوا كرها له تقيّه
والله قد رخص للبريه
لأنه الرؤوف بالعباد
في الكفر للكره بلا اعتقاد
وقد أتى فيما روى عن شيعته
بأنه عاتبهم في بيعته

يعد القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي (القاضي النعمان، المتوفى ٣٦٣ هـ). من كبار فقهاء الدولة الفاطمية وأبرز علمائها، وقد وصفه ابن خلكان بأنه أحد الأئمة الفضلاء المشار إليهم. كان في غاية الفضل، من أهل القرآن والعلم بمعانيه، وعالماً بوجوه الفقه وعلم اختلاف الفقهاء واللغة والشعر الفحل والمعرفة بأيام الناس، مع عقل وإنصاف، وألف لأهل البيت من الكتب آلاف الأوراق بأحسن تأليف وأملح سجع. خدم أربعة من الخلفاء الفاطميين ووصل إلى مرتبة قاضي القضاة وداعي الدعاة في عهد المعز لدين الله. له مؤلفات كثيرة منها «دعائم الإسلام» و«المناقب والمثالب» و«الأرجوزة المختارة».

حتى أتوا باب البتول فاطمه
وهي لهم قالية مصارمه
فوقفت عن دونه تعذلم
فكسر الباب لهم أولهم
فاقتحموا حجاً بها فعولت
فضربوها بينهم فأسقطت
فسمع القول بذاك فابتدر
إليهم الزبير قالوا فغثر
فبدر السيف إليهم فكسر
وأطبقوا على الزبير فأسر
فخرج الوصي في باقيهم
إذ لم يروا دفاعهم ينجيهم
فكنتفهم ومضوا في ضيق

ونعود لنسأل هل استطاعت الإنسانية والعلم أن يضعوا حداً للزلازل والأعاصير التي تتحرك في جنوب شرق آسيا مثلاً؟ وتزيل مدينة صناعية كاملة من وجه الأرض في الصين، ويذهب ضحيتها الملايين في ثوان معدودة؟ وهل استغنى البشر اليوم عن الأنهار الجارية والأمطار؟ وهل يغيب عن ذهن البشر اليوم عن الأنهار الجارية والأمطار؟ وهل يغيب عن ذهن العاقل أخطار الجفاف وقلة الأمطار التي كانت تهدد أوروبا بالأمس وآسيا وأفريقيا اليوم، وتندرها بأفدح العواقب؟

وإذا استطاع العلم أن يكشف نظام أحد المخلوقات ويعرف كيفية عمله ويدرك سر تكوينه فإن هذا لا يغير من الحقيقة شيئاً، ولا يفقد الفكرة قيمتها، لأن هذا الكائن المخلوق يسير على نسق لا يستطيع العلم تغييره ولا تبديله، مثل تكوين الأمطار وهطولها، مع العجز عن تغيير نظامها، وتبديل الأمطار الشتوية إلى صيفية، والموسمية إلى عملية، ونقل الأمطار والظوفان من آسيا لتخفيف الجفاف في أوروبا أو بالعكس، كما اكتشف العلم تركيب الهواء أو الماء ولكن هل غير من تركيبه؟ وهل أوجد شيئاً من العدم؟ وبذل البشر ملايين الملايين للوصول إلى القمر والمريخ، ولكن هل غيروا من نظامهما؟ وهل عدلوا من سيرهما ولو مثقال ذرة؟

وإذا كان بعض العابثين لا يشعرون بهذه الرهبة، لأنهم يقنعون أنفسهم بما قدمه العلم من تفسير لبعض الظواهر التي كانت تخيف الناس في السابق، مثل تفسير ظاهرة الخسوف أو الكسوف أو نزول المطر أو حدوث البرق والرعد أو دوران الشمس والقمر، ويقفون عند هذه التفسيرات الظاهرية ثم يضعون القفل على العقل، ويسدون الطريق أمامه في متابعة الحكمة والغاية والهدف والسر في هذه الظواهر، والدقة في حدوثها والحرك لها، فإن هؤلاء أشبه بالطفل الذي يقترب من النار ولا يهرب حرها، ويرمي بنفسه على السيارة المسرعة ولا يدرك خطورها، ويعبث بسلك الكهرباء ولا يعقل سعيها، ويلهو بكتب والده أو أدواته الطبية والهندسية والاته الحساسة، ولا يعرف قيمتها، أما العالم بكل ذلك فهو المقدّر لكل شيء قدره، وهو الذي يحس بالرهبة والخوف أمام عظمة الله تعالى في خلقه وكونه، وصدق الله العظيم «... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...»^١

ومن الدوافع الفطرية للتدين، الموت الذي يردع الأحياء ويهزمهم إلى الأعماق^٢ وينبه فيهم القوى المعطلة، والأجهزة المتجمدة، والإحساس المخدر، ويزيل من أمامهم الحجب، ويكشف لهم الطريق، ويذهب الغبش عن العين، فيصحو الإنسان لنفسه، ويتفكر في حياته، ويبحث عن الهدف من الحياة، ويستطلع ما بعد الموت، ويدرك تماماً قيمة الحياة الآخرة، وتفاهة الدنيا، وأنها متاع قليل، وأن الكمال الحقيقي الذي يتفق مع تكريم الإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات أن تكون نفسه وروحه باقية بعد

الموت، وأن لها حياة أخرى بعد هذه الحياة يلتقي فيها الأحبة والخلان، وفيها يحاسب كل إنسان على عمله، للتحقق العدالة المطلقة، فيلقى كل إنسان جزاء عمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، يقول الإمام علي عليه السلام: «الناس نيام، فإذا ما توار انتبهوا...»^٣ ونلمس هذه الأحاسيس يومياً في الحياة من الملحدّين والفاستقّين والغافلين والمقصّرين والعاثّين، فإذا فاجأهم الموت بعزّيز أو بقريب أو بحبيب نطقوا بالحق، وصحّوا من النوم أو الغفلة، وصرّحوا بالإيمان... ولبوا نداء الفطرة، وبخثوا عن التدين، وأسرعوا إلى الطاعة والعبادة، وأثابوا إلى بارئهم، ومنهم من يستمر، ومنهم من ينكث على عقبيه.

الهوامش:

١. سورة فاطر، الآية ٢٨.

٢. «دراسات في النفس الإنسانية»، ص ٢٢١.

٣. «كشف الخفا»، ج ٢، ص ٤٣٢.

المصدر: محمّد الرخيلي، «وظيفة الدين في الحياة و حاجة الناس إليها»، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، ١٤٠١ هـ.

تحريم الدم ولحم الخنزير

وهذا اللفظ يدلنا على خطورة الربا البالغة، فقد أثبت علماء الاقتصاد الأمريكي بأنه خلال ٣٠ إلى ٥٠ سنة، سيتركز المال في يد خمسين عائلة أمريكية، وسيبقى باقي الشعب من غير ثروة، لأن النظام الربوي يقصر الثروة على يد فئة قليلة من الناس، فلنقرأ هذا ونستشعر عظم التشريع الرباني الذي حرم وحذر من التعامل في الربا...

الهوامش:

١. سورة البقرة، الآية ١٧٣.

٢. المصدر السابق، الآية ٢٧٩.

المصدر: يوسف الحاج احمد، «موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة المطهّرة»، مكتبة ابن حجر، الطبعة الثانية، ١٤٢٤ هـ، ص ٤٤.

تحريم الدم

يقول تعالى:

«إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَحَلَائِمَ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لَعْنُ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^١

وكان الإنسان غافلاً عن أهمية هذا التحريم، ولكن التحليلات التي أجريت للدم قدأكدت أن هذا القانون كان مبنياً على أهمية خاصة بالنسبة للصحة، فالتحليل يثبت أن الدم يحتوي كمية كبيرة من «حمض البولييك» وهو مادة سامة تضر بالصحة لو استعملت كغذاء... وهذا هو السر في طريقة الذبح الإسلامي التي أمرنا الله بها، إذ أنها تركز على الوريد الرئيسي في العنق ليخرج أكبر قدر ممكن من الدم، ويصبح بذلك اللحم أقل ضرراً. والله تعالى أعلم وأحكم...

تحريم الربا

يقول الله تعالى بعد أن حذر من الربا وأمر باجتنابه:

«فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْشِرُوا فَلَئِنَّكُمْ زُورُونَ أَمْوَالَكُمْ لَا تَطْلُمُونَ وَلَا تُطْلَمُونَ»^٢

الإنطباعات الأسطورية (الرؤية الأسطورية)



وسيط وحضور وشهودي. الانطباع ما وراء العلم والفلسفة ووراء الاستدلال والمفروضات المنطقية، مهما يكن هو حصيلة تجربة شهودية لامم استطاعت من خلال اقامة نسبة مع الطبيعة ومصدر الكون ومشاهدة الطبيعة المحيطة بها، كشف الكثير من القوانين والتقاليد السائدة في العالم والتي جمعت في الادوار اللاحقة على يد بعض الحكماء والشعراء وعرضت في قوالب شعرية. وربما يمكن القول بان الرؤية الاسطورية تحكي عن الديانات البسيطة والبدائية التي استخدمها الانسان كمفتاح لدرك وفهم الاسئلة العامة والمعقدة حول الانسان والطبيعة و خالق الكون. إن الانطباعات الاسطورية هي نوع من الاجوبة على تساؤلات الانسان، وفي هذه المنظومة النظرية لا مكان للاستدلال العقلاني والفلسفي.

إن الانسان في هذه الاعمال، هو كائن يقيم علاقة شاعرية ورمزية مع العالم. الكائن الذي هو رهينة اعماله وافعاله، وهذا جعله يتواجه مع مقدرات لا مفر منها البتة. انه ينسلخ من الغرارة في خضم الاحداث والحروب، ويهرب من الظلمات باحثا عن النور.

وبصورة عامة، فان التفكير الغائي والايمان بمنشا وبداية الكون وكون الانسان مخلوقا والعيش تاسيسا على التقاليد الثابتة التي تسهل نبيل الوجهة النهائية وبالتالي «التفكير بالموت» تعد من المبادئ النظرية للاعمال الاسطورية والرؤية التي تسودها. وهو الانطباع الاقرب كثيرا الى انطباع اهل الدين.^٤

الهوامش:

١. تاريخ الاديان، جان ناس، ص ١٣.
٢. بديهي ان قصد الكاتب من كلمة «الاساطير» ليست اساطير الاولين الواردة في القرآن الكريم بل الاسطورة بمعنى Myth.
٣. والمقصود هنا من العالم الشاعري، ليست الصورة الخيالية والوهمية الماثلة في ذهن كاتب الشعر، ممن لقبوا اليوم خطأ بالشعراء، بل المقصود هو العالم الماورائي وخلوة الانس والمالوف الانساني، الذي يُدرك من خلال الاتصال بحقيقة الكون وهذا الانطباع يناله العظماء والكبار الذين ينالونه في الخلوة بانفسهم.
٤. ان الكاتب لا يهدف الى تقديم بحوث مفصلة ومسهبه، لان اي موضوع يمكن ان يشكل عنوانا لاطروحة مستقلة وكتاب جامع، لذلك ومن اجل تحاشي اطالة الحديث، تطرقنا الى بعض الموضوعات باليجاز.

المصدر: شفيعي سروستاني، إسماعيل، «الفكر، الثقافة و الأدب، الحضارة»، طهران، موعود العصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٥ هـ.ق. / ٢٠١٤ م.

والانسان. الانسان الذي يبحث عن تعريف دقيق عنه وعن الطبيعة وخالق الكون. ويبحث عن قانون خاص يضع بتصرفه المعرفة اللازمة لدرك الحقائق وسير المراتب العليا. و بما ان الانطباعات الاسطورية هي انطباعات شاعرية^٣ حول العالم ومنشأ الخي والرحيل في الارض، فانها قدمت بشكل رئيسي في سياق الكلام المنظوم او اللغة الرمزية الاسطورية. الرموز التي تدفعنا الى اماطة اللثام عن القصص والاساطير من اجل درك الحقائق المستترة في الاساطير والانطباعات الرئيسية، وهذا الامر قد يؤدي الى ان نرى خلال دراسة هذه الاعمال، مجموعة من المفردات والعبارات المتشابهة. لكن مهما يكن من امر فانه يمكن الوصول الى رؤية من بين جميع الاساطير التي هي قريبة ووثيقة الصلة والتشابه بانطباعات اهل الديانة عن الكون لكونها شاعرية.

إن «الإلياذة» و «الأوديسة» لهوميروس و«مهابهارات» و «ورامايانا» الهندية و «الشاهنامة» للفردوسي تعد من الاعمال التي توفر اليوم امكانية اجراء دراسات في هذا الخصوص، وتظهر بان انطباع الانسان في عصر الاساطير هو انطباع من دون

لم تنجز دراسات دقيقة وشاملة حول الاساطير والرؤية الاسطورية الخاصة ولذلك فان الحوارات في هذا المجال مليئة بالحدس والخيال والتناقضات. لاسيما وان الحديث حول الاساطير هو الحديث عن الانسان والعصر الذي لا تتوافر فيه اعمال مطبوعة عنها. وقد اطلق كُتّاب تاريخ الاديان على هذا الامر اسم «علم الاساطير» (الميثولوجيا) واعتبروه وجها من الاديان البدائية للبشرية.^١ إن الاحداث والقصص الاسطورية تعود بشكل رئيسي الى امم تحظى بماض عريق. ويعد الصينيون واليونانيون والايروانيون من الامم التي تأتي على ذكر اعمال اسطورية^٢ وما يشبهها على انها اعمالها الثقافية والادبية القيمة. لان هذه الاعمال تميظ اللثام عن الماضي التاريخي لهذه الامم ونوعية انطباعاتها ورؤيتها الخاصة الى العالم و الانسان.

وربما يمكن اعتبار الاساطير والاعمال الاسطورية على انها «علم كلام» الانسان البدائي، لان مادة هذه الاعمال تتمثل في الاسئلة والردود التي طرحها الانسان حول سبب الحوادث ومصدر الخليفة والغاية من الحياة والدافع من الميلاد وسبب الموت. اسئلة عامة تعكس جهودا للتوصل الى اجوبة دقيقة ومنظمة حول العالم

دور الوثنية

إذا فصلت السياسة عن الدين فقدت معناها... كل طفل في مدرستنا يدري الأنظمة السياسية في الهند، ويعرف كيف أن بلاده تفقد بإحساسات جديدة وبآمال جديدة، ولكننا أيضاً في حاجة إلى الضوء الثابت المستقر. ضوء الأيمان الديني.

غاندي

من المعروف أن «القرآن الكريم» قد أطلق اسم الجاهلية على الفترة التي كانت قبل الإسلام، ولم يشفع لهم شعر رائع، وأدب فذ، من أن يصفهم القرآن بهذا الوصف، لأن التراث الثقافي العربي لم يكن يحوي سوى الديباجة المشرقة، الحالية من كل عنصر «خلاق» أو فكر عميق. وإذا كانت الوثنية في نظر الإسلام جاهلية، فإن الجهل في حقيقته وثنية، لأنه لا يغرس أفكاراً، بل ينصب أصناماً، وهذا هو شأن الجاهلية، فلم يكن من باب الصدفة المحضة أن تكون الشعوب البدائية وثنية ساذجة، ولم يكن عجباً أيضاً أن مر الشعب العربي بتلك المرحلة، حين شيد معبداً للأقطاب (الدراويش) المتصرفين في الكون، ومن سنن الله في خلقه أنه عندما تغرب الفكرة يبرز الصنم، والعكس صحيح أحياناً.

وهكذا كان شأن «الجزائر» فإنها كانت حتى عام ١٩٢٥ م. - على الرغم من إسلامها - تدين بالوثنية، التي قامت نصبها في الزوايا، هنالك كانت تذهب الارواح الكاسدة للتماس البركات،

ولاقتناء الحروز ذات الخوارق والمعجزات، غير أنه ما إن سطع نور الفكرة الإصلاحية حتى تحطم ذلك المعبد، فخرت الأوثان مع أسف عماتنا وخالاتنا اللاتي أدهشهن ما رأين.

وبالفعل فقد خمدت نيران أهل الزردة (الفئة)، وزالت عن البلاد حمى الدراويش، وتخلصت منها الجماهير بعد أن ظلت طوال خمسة قرون ترقص على دقات البنادير، وتبتلع العقارب والمسامير مع الخرافات والأوهام.

ولقد ذهبت بذهاجم تلك اللجنة التي وُعدّها المريدون بلاكد ولا عمل، إلا ما يتلمسون من رضا الشيخ ودعواته، وحلت مكانها جنة الله التي وعدّها المتقين العاملين.

وهكذا أتيح (للاصلاح) أن يمسك مقاليد النهضة الجزائرية، وأمكنه أن يبعثها خلقاً آخر بالروح الإسلامية التي تخلصت من كابوس الأوثان، وكأني بالفكرة الإصلاحية قد بلغت أوجها وانتصرت يوم افتتاح المؤتمر الجزائري عام ١٩٣٦ م.، مما جعلنا نتساءل: هل سوف نمضي هكذا حتى النهاية؟

لقد كان ذلك ممكناً، لو لم يشعر العلماء المصلحون - بكل أسف - بمركب النقص إزاء قادة السياسة في ذلك العهد^١، فمالؤوهم وسايروهم، ظلنا منهم أنهم سوف يذودون عنهم نوابث الحكومة، ولقد كان ذلك ممكناً لو لم يكونوا على استعداد للعودة إلى فكرة الزوايا ذات الطابع السياسي، والأصنام المزوقة بأسماء جديدة.

لقد كانوا يستطيعون أن يبلغوا ذلك، لو أن أوراق الحروز التي نبذها الشعب لم ترجع إليه باسم أوراق الانتخابات، ولو أن العقول التي كانت تصدق بالمعجزات الكاذبة، لم تعد مرة أخرى تصدق بمعجزات صناديق الانتخابات، ولو أن الزردة التي كانت تقام في ساحات المشايخ لم تعقبها الزردة التي تقام في الميدان السياسي، والتي أصبحت تقدم فيها الأمة قربانها من حين إلى حين.

لقد كان من واجبنا أن ننتبه فلا نلدغ من حجر مرتين، غير أننا لم نكن في الواقع قد تخلصنا من الأسلوب الخرافي، ذلك الأسلوب الطفولي الذي نتجت عنه قصة ألف ليلة وليلة. تلك القصة الذي استطبنا مذاقها في عصور انحطاطنا، وكان لها تأثيرها في جونا الخلفي والاجتماعي.

ولقد كان حقيقاً بنا أن نوصد مرة واحدة في عام ١٩٣٦ م. باب التيه، فلا ندع أرواحنا تسبح في متاهات لا حد لها. ولو اننا احتطنا لأنفسنا بمثل هذه الاحتياطات البسيطة لاستطعنا منذ ذلك التاريخ أن نواجه الواقع. وأن نحل مشكلتنا بأيدينا حلاً واقعياً علمياً.

فلقد كان على الحركة الإصلاحية أن تبقى متعالية على أحوال السياسة والمعامع الانتخابية، ومعارك الاوثان. ولكن العلماء آنذاك قد وقعوا في الوحل - حيث تلطخت ثيابهم البيضاء، وهبطت معهم الفكرة الإصلاحية فجرت في المجرى الذي تجري فيه الشامبانيا في الأعراس الانتخابية، الممزوجة أحياناً بدم تربيته اليد السوداء لاغتيال الاصلاح.^٢

ولئن كان هنالك شيء يؤسف له منذ عام ١٩٢٥، فإن أكبر أسفنا على زلة العلماء، التي كانت زلة نزيهة، لما توفر فيها من النية الطاهرة، والقصد البريء.

ومع ذلك فإنه يجب أن لا يغرب عن بالنا أن الحكومة الاستعمارية كانت هي السبب الخارجي لتلك الخطوة المشؤومة التي خطاها العلماء نحو السراب السياسي، وكان ذلك حينما تكونت في فرنسا الجبهة الشعبية التي بذلت الوعود بغير حساب. ولكن ألم تكن المعجزة الحقة في تحويل الأمة وتقدمها شيئاً أغلى من هذا السراب؟

ألم يكن موطن المعجزة هو ما دل عليه القرآن، أي في النفس ذاتها؟ أو لم يكن العلماء أنفسهم ينهلون من ذلك ينبوع معجزتهم من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٣٦. إذ كانوا يغيرون ما بنفس الفرد، ذلك التغيير الذي هو الشرط الجوهري لكل تحول اجتماعي رشيد؟

وإذن فلا يجوز لنا أن نغفل الحقائق، فالحكومة مهما كانت ماهي إلا آلة اجتماعية تغير تبعاً للوسط الذي تعيش فيه وتتنوع معه، فإذا كان الوسط نظيفاً حراً، فما تستطيع الحكومة أن تواجهه بما

ليس فيه، وإذا الوسط كان متسماً بالقابلية إلى الاستعمار فلا بد من أن تكون حكومته استعمارية.

هذه الملاحظة الاجتماعية تدعونا لأن نقرر أن الاستعمار ليس من عبث السياسيين، ولا من أفعالهم، بل هو من النفس ذاتها، التي تقبل ذل الاستعمار، والتي تمكن له في أرضها. وليس يتجو شعب من الاستعمار وأجناده، إلا إذا نجت نفسه من أن تتسع لذل مستعمر، وتخلصت من تلك الروح التي تؤهله للاستعمار.

ولا يذهب كابوسه عن الشعب - كما يتصور البعض - بكلمات أدبية أو خطابية، وإنما بتحول نفسي، يصبح معه الفرد شيئاً فشيئاً قادراً على القيام بوظيفته الاجتماعية، جديراً بأن تحترم كرامته، وحينئذ يرتفع عنه طابع «القابلية للاستعمار»، وبالتالي لن يقبل حكومة استعمارية تنهب ماله، وتقتص دمه، فكأنه بتغيير نفسه قد غير وضع حاكميه تلقائياً إلى الوضع الذي يرتضي.^٣

ولا شك في أن يلازمة السياسية الراهنة تعود في تعقدها إلى أننا نجهل أو نتجاهل القوانين الأساسية التي تقوم عليها الظاهرة السياسية والتي تقتضينا أن ندخل في اعتبارنا دائماً صلة الحكومة بالوسط الاجتماعي، كآلة مسيرة له، وتتأثر به في وقت واحد، وفي هذا دلالة على ما بين تغيير النفس وتغير الوسط الاجتماعي من علاقات متينة، ولقد قال الكاتب الاجتماعي بورك: إن الدولة التي لا تملك الوسائل لمسايرة التغيرات الاجتماعية لا تستطيع أن تحتفظ ببقائها.^٤

ومن الواضح أن السياسة، التي تجهل قواعد الاجتماع وأسسها لا تستطيع إلا أن تكون دولة تقوم على العاطفة في تدبير شؤونها، وتستعين بالكلمات الجوفاء في تأسيس سلطاتها، ولن نستطيع فهم هذه الملاحظات الاجتماعية إلا إذا فهمنا الآلية الكريمة التي اتخذها العلماء شعاراً لهم في تأسيس دعوتهم: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ». وما بقي الاصلاح متمسكاً بأهداب هذه الآية فلن يستطيع درويش جديد أن يهدد البلاد بخاطر خرافته، ولكن زلة العلماء عام ١٩٣٦ م. كان لها أكبر الأثر في عودة البلاد إلى الأفكار الوثنية؛ فقد كان من آثار هذه النكسة تلك الزردة الكبرى التي أقامتها النخبة من رجال السياسة في بلدة «سطيف»، حيث أمسكت بكلتا يديها المبخرة، ثم ألفت فيها العود الأخير من «الجاوي» المبارك الذي كان السدنة يعطرون به زواياهم.

وما كانت تلك الزردة إلا ابتداء لدروشة جديدة، تذهب معها جهود الاصلاح هباء، وكأنها لم تكن؛ دروشة لا تختلف عن سابقتها إلا بأنها تبيع بدل الحروز والتماثيل حروزاً في شكل آخر، هي أوراق الانتخابات، والحقوق السياسية، والأمان السابحة في الخيال.

ومع ما استعجلناه من «مصر» (الفاروقية) من الاسطوانات والأشرطة السينمائية المجافية للفن والأخلاق، فإننا قد استعجلنا منها أيضاً أسساً لسياستنا تقوم على أفكار تضلل العقول البسيطة، كان لها أسوأ تأثير في حياتنا، حيث اتخذتها «الدروشة السياسية» شعاراً لها ومبدأ، وكررتها على مسمع من الشعب، حيث رددتها معها سنين طويلة، صباح مساء: «إن الحقوق تؤخذ ولا تعطى!» لحاها الله كلمة تطرب وتغري، فالحق ليس هدية تعطى، ولا غنيمة تغتصب، وإنما هو نتيجة حتمية للقيام بالواجب، فهما متلازمان، والشعب لا ينشئ دستور حقوقه إلا إذا عدل وضعه الاجتماعي، المرتبط بسلوكه النفسي.

ونأخا لشرعة السماء: غير نفسك، تغير التاريخ!

وعلى هدى هذه الكلمة بدأ الإصلاح الجزائري من النفس - هادفاً في جوهره إلى تغيير الإنسان، فبعث فيه روحاً وثابة، أشرفت معها بوادر النهضة الكبرى، وكان الانطلاق الرائع للضمير الشعبي فيما قبل عام ١٩٣٦م. في انسجامه، واطراد، وحماسه، هو ملحمة الفكرة الإصلاحية التي توجّها المؤتمر الإسلامي المنعقد في ذلك العام.

وخلال العصر الذهبي الذي بدأ عام ١٩٢٥م، واستمر حتى زوال المؤتمر الذي مات في مهده، وكنا نشعر بالنهضة، ولم يكن زادنا في مبدأ رحلتنا سوى كلمات من الفصحى، وبعض آيات من القرآن، وهكذا ابتدأت على أثر هذه النهضة المدارس الأولى، تشيد بسيطة متواضعة، كتلك المدارس الأولى التي افتتحت في الغرب، في عهد شارلمان والتي كانت أصولاً للمدنية الغربية. ولقد كنا إذ ذاك، إذا ما خلدنا إلى سمرنا نتحدث حديث «الغشيم»! ولكنه ليس عقيماً، إذ هو يدور حول الشئون الاجتماعية، كالتعليم والتربية، وتطهير الأخلاق، والعادات، ومستقبل المرأة، واستخدام رؤوس الأموال. وكانت هذه الأحاديث ذات قيمة، لأنها كانت بعيدة عن منطق الغوغاء، وعن الرياء، والذاتية، وعن النزعات الانتخابية، فقد أصبحت لكل كلمة من هذه الكلمات قيمتها في الوسط الجزائري. ولكل سعي أثره وإن قل؛ إذ هو يساهم في بناء التقدم والنهضة، تماماً كما تساهم القشة الصغيرة في بناء عش الطير، إبان الربيع.

ولم يتخلف الأدب الجزائري عن الركب، فقد بدأ يصور تقدم البلاد في قصائد، جدد فيها نشاطه بعد ركود طويل، كانت تلك القصائد تغني ربيع النهضة، أي ربيع الفكرة، لا ربيع الصنم.

وكنتم ترى في كل مسجد أو مدرسة أو منزل حديث الإصلاح، بين مؤيد ومنتقد، ولكن كلا الفريقين كان يتمتع باللسان العف، والسريّة النقية. إذ كانت المبادئ هدفهم من وراء اختلافهم، لا الأغراض الشخصية والوظائف السياسية.

وكانت الأمة تقدم تضحياتها لبناء المدارس والمساجد من أجل

البعث الفكري، والبعث الروحي، اللذين هما عماد كل حضارة في سيرها الحثيث.

ولعلك تلاحظ كم يكون شاقاً القيام بهذه التضحيات في بلاد فقيرة، امتص المستعمر خيراتها، غير أن الشعب الذي آمن بالفكرة، كان عزاءه في جهده الشاق، أنه سوف يحظى بالعاقبة الحميدة. لقد كان يعيش في جو من الحماس يتيح له أن يصنع المعجزات الاجتماعية، من تغيير العوائد والأفكار، والاتجاهات والأشياء، وكانت الاستجابة لهذه التحولات بادية في تقاليد مدينة «تبسة» مثلاً، تلك المدينة التي بدت أعراسها وجنازها أقرب إلى الكرامة والوقار، مما لم تعرفه قبل الإصلاح. وإنه لمن الواضح أن الشعب الذي بدأ يعود إلى وقاره، ويستمسك بأسباب كرامته، ويميل إلى التناسب والجمال في مظهره العام قد أعاد سيره في موكب التاريخ. وكنتم تشاهد حركات، المهدف منها إزالة كل منكر لا تقبله العقيدة.

ولا يقره الذوق العام. ومن ذلك حركة محاربة الخمر وبيعها، حتى لم يجد باعة تلك السموم حيلة يفرون بها من هجوم الحركة الإصلاحية، إلا أن يلجؤوا إلى الحكومة حوالي عام ١٩٢٧م، محتجين بأن إيرادهم تناقص، وأن تجارتهم بارت. وبدأت فعلاً المساجد تمتلئ برواد الخمارات. كما أن الحلقات الدراسية الليلية قد عمرت بأولئك الذين انصرفوا عن حلقات الدراويش.

ولعل هذا التغيير المطرد، والنسق الجديد من الحياة قد أقلق كثيراً أولئك الذين كانت مواردهم وإمكاناتهم مستمدة من سباتنا.

وبدأت المعجزة تشق طريقها بقوة وعزم، إلى أن جاءت سنة ١٩٣٦م، فإذا بما تضل طريقها، حتى تغلقت عليها السبل. ثم اختارت طريقاً ظنت أنه موصلها إلى هدفها المنشود، ولم تدر أنها تتجه إلى الجهة التي انطلقت منها.

وهكذا عادت أدرجها، ميممة وجهها شطر السراب السياسي، حيث تتوارى من ورائها بوارق النهضة والتقدم.

لقد أصبحنا لا نتكلم إلا عن حقوقنا المهضومة، ونسينا الواجبات، ونسينا أن مشكلتنا ليست فيما نستحق من رغائب، بل فيما يسودنا من عادات. وما يراودنا من أفكار. وفي تصوراتنا الاجتماعية، بما فيها من قيم الجمال والأخلاق. وما فيها أيضاً من نقائص تعتري كل شعب نائم.

وبدلاً من أن تكون البلاد ورشة للعمل المثمر والقيام بالواجبات الباعثة إلى الحياة. فإنما أصبحت منذ سنة ١٩٣٦م. سوقاً للانتخابات. وصارت كل منضدة في المقاهي، منبرا تلقى منه الخطب الانتخابية. فلکم شربنا في تلك الأيام الشاي، وكم سمعنا من الاسطوانات، وكم رددنا عبارة «إننا نطالب بحقوقنا»، تلك الحقوق الخالية المغرية، التي يستسهلها الناس، فلا يعمدون إلى الطريق الأصعب: طريق الواجبات.

وهكذا تحول الشعب إلى جماعة من المستمعين، يصفقون لكل خطيب، أو قطيع انتخابي، يقاد إلى صناديق الاقتراع، أو قافلة عمياء زاعت عن الطريق، فذهبت حيث قادتها الصدفة في تيار المرشحين.

وفي هذا اختلاس أي اختلاس للعقول التي أشرفت على قطف ثمار نهضتها، فإن هذه العقول قد عادت إليها الوثنية، تلك الوثنية التي تلد الاصنام المتعاقبة المتطورة. كما تتطور الدودة الصغيرة إلى فراشة طائرة، إذا ما صادفت جوا ملائماً. وهذا يعني أن البلاد لم تتحقق فيها النهضة المنشودة، وكل الذي كان هو أن أحداثاً صدمتها صدمة عنيفة أيقظتها من نومها، ثم لم تلبث بعد أن زال أثر هذه الصدمة أن غالبها النعاس، فعادت إلى النوم، وأمكنها في نومتها هذه أن تعود إلى أحلامها، غير أنها أحلام ذات موضوع آخر، إنما أحلام الانتخابات، قامت على أطلال الزوايا المهدامة التي دمرها معول الإصلاح الأول.

وهو يعني من ناحية أخرى أن أرواحنا لا تزال مكدسة في محيط الطلاسم والخيال، ذلك المحيط الذي لا يزال يحتفظ بها منذ أن سقطت الحضارة الإسلامية.

وهكذا وجدنا أنفسنا بين أحضان الوثنية مرة أخرى، كان الإصلاح قد حطم الزوايا والقباب من دون الوثن، فقد توارت الفكرة عن العقول وحلت محلها الوثنية التي تتكلم اليوم وحدها، إذ نصب لها في كل سوق منبر،^٥ كي يستمع الناس إليها، تسلية لهم، وإغفالاً لواجباتهم، وإبعاداً لهم عن طريق التاريخ. لقد ورث المكروب السياسي ميكروب الدروشة، فأصبح يفعل بالشعب ما كان سلفه يفعل، فبعد أن كان الشعب يقتني بالثمن العالي البركات والخروز، أصبح يقتني الأصوات والمقاعد الانتخابية، ويسعى إليها في تعصب لا يفتقر عن تعصبه الأول، دون أي ذوق ناقد، ودون أي جهد لتغيير نفسه أو مجتمعه وبعد أن آمن الشعب لأحد رجاله وزعمائه السياسيين بمعجزة «الطيارة الخضراء»^٦ أصبح يؤمن بالعصا السحرية التي تحول به بضربة واحدة إلى شعب رشيد، مع ما به من جهل، وما تنتابه من أمراض اجتماعية!

وإننا لننذكر - بكل أسف - مأدبة أقامها طلبة الجامعة في الأشهر الماضية، وتكلم فيها أحد الطلاب فقال: إننا نريد حقوقنا ولو مع جهلنا وعريتنا ووسخنا. (!!)

ولقد كانت هذه الكلمة موضع استحسان من جميع الحاضرين! ألا قاتل الله الجهل، الجهل الذي يلبسه أصحابه ثوب العلم، فإن هذا النوع أخطر على المجتمع من جهل العوام لأن جهل العوام يبين ظاهر يسهل علاجه: أما الأول فهو متخف في غرور المتعلمين.

ولقد بدأنا بالفعل في التفهق والعودة إلى الظلام؛ وبعثرة الجهود،

وتحطيم المساعي والإسراف في إمكانياتنا القليلة التي تتطلب منا صرفها فيما يفيد تقدمنا.

وختاماً فإن الزردة التي أقامتها النخبة من رجال السياسة يوم سطيف كانت لصالح الاستعمار. الذي تمكن على إثر تفهقنا من قتل المؤتمر، وتشتيت العلماء.^٧

وأصبحت الحركة الجزائرية منذ ذلك الحين لا ترأسها فكرة بل تقودها أوثان، وليس يهمنها هنا الشكل، بل الموضوع. فليس الخطر من الإنقياد إلى نوع من الدروشة، ولكن الخطر من الانقياد الأعمى إلى الدروشة ذاتها وليس الخطر أيضاً من اسم الصنم، ولكن من سيطرة الوثنية.

إن جوهر المسألة هو مشكلتنا العقلية، ونحن لا زلنا نسير ورؤوسنا في الأرض، وأرجلنا في الهواء، وهذا القلب للأوضاع هو المظهر الجديد لمشكلة نهضتنا.

الهوامش:

١. ويبدو لنا على ضوء الحوادث الأخيرة، مع كل أسف، أن قيادة جمعية العلماء في الجزائر لا زالت مصابة بهذا النقص الذي يسلبها حق القيام بواجبها أمام الانحرافات السياسية التي تفضل أن تسير معها عوض أن تقومها.
٢. يشير المؤلف هنا إلى حادث مقتل المرحوم مفتي العاصمة سنة ١٩٣٦م.
٣. يمكننا التدليل على هذا بذكر حالة بعض البلاد الأفريقية الآسيوية التي لم يطأ ترابها الاستعمار ولكن نراها خاضعة لجميع الظروف الاستعمارية، مثل الفقر والجهل، بينما بلاد أخرى، مثل اليابان أو ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية، تحل بأرضها جيوش الاستعمار ولكن لا تتكون فيها ظروف استعمارية رغم ذلك.
٤. كتاب «الرجل السياسي الأمريكي» أشار إليه بوفريديج في كتاب، «قيمة السلم».
٥. وعلينا أن نقول أن الاستعمار يتتبع هذه الأطوار بكل اهتمام وبكل ما لديه من الوسائل، لكي يعيد الشعب المستعمر إلى عهد الوثنية، فهو كلما تظهر فكرة في الأفق ينصب اصناما ويشيد في البلاد منابر عليها يظهرون، كما بينا ذلك في كتاب «الصراع الفكري في البلاد المستعمرة».
٦. هذا يشبه ما يطلقه بعض العوام في مصر عن الأولياء من أنهم من أهل الخطوة. أما في الجزائر فهذا الزعيم معروف، وبعض تلامذته هم الذين يقومون اليوم بدور التوجيه.
٧. ولقد يبدو من الملاحظات الأخيرة، لمن يتتبع تطور هذه الحالة، أن الاستعمار لا زال يستطيع قتل أي جهد يبرز من الشعب، لأن النخبة في البلاد لا زالت بعيدة عن ميدان الواجب.

المصدر: مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، «شروط النهضة»، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٦م.



التحصين الأسري في عصر الفضاء الافتراضي القسم الثالث

عليها. والموضوع الرابع، هو مبدأ بناء النموذج، وبيّنا فيه أنه إضافة إلى أن الأبوين يشكلان أول وأهم نموذج، فإن بمقدورها أن يكونا مرشدين جيدين لانتخاب النموذج المناسب بالنسبة لأبنائهما. إن الأشخاص الذين يمتلكون نمودجا ملائما في الحياة، بإمكانهم في تقلبات الحياة ونظرا إلى حياة النموذج الذي يتبعوه، اختيار واعتماد الطريق الصحيح للعيش. والحالة المقترحة الأخرى، خفض أضرار الإعلام والفضاء الافتراضي، تمثلت في تحصين الأشخاص في مقابل المشاكل والتحديات والانحرافات المختلفة، بحيث يبلغ الشخص مرحلة يتحلّى فيها بنفسه بقوة الردع والتحكم الذاتي أمام الانحرافات، وكذلك تبيان أصول الدين للأبناء، والتحصين عن طريق التواصل مع الله تعالى وتحديد العدو وتجسيد عاقبة الخطأ في الفضاء الافتراضي، وتحدثت تاليا في الخطوات الأخرى بهذا الخصوص.

وأكدنا في الأقسام السابقة، أن سيادة القانون تعد ضمن سبل الوقاية من أضرار الفضاء الافتراضي وخفضها داخل الأسرة، وحين ترسي، يتعين على جميع أعضاء الأسرة بمن فيهم الأبوان والأبناء، الالتزام بتلك القوانين، وألا يضرّوا بها عرض الحائط تحت أي وجه من الوجوه. والحل المقترح الآخر، تمثل في تحمل المسؤولية، وعرض في سبيل تنشئة وتربية أبناء يتحملون المسؤولية وذلك من أجل خفض أضرار الفضاء الافتراضي عن طريق الآثار والتبعات الإيجابية لتحمل المسؤولية على التنمية الفردية والنمو الأخلاقي للأبناء. والحالة الثالثة، تمثلت في مبدأ التعليم والتوعية، وبيّنا فيها أن الأبوين يجب أن يتمتعوا باليد الطولى فيما يخص الإعلام والفضاء الافتراضي، أي فضلا عن امتلاكهم معلومات كاملة وإشراف على هذه الفضاءات، يتعين عليهم أيضا توعية أبنائهم تجاه هذه الفضاءات وطريقة التعامل معها والقائمين

الخطوة السادسة: الإكرام وتعزيز الشخصية

إن أحد المبادئ المهمة، هو مبدأ حفظ الحرمات والشخصية. ويؤكد هذا المبدأ على أن أي شخص، بمعزل عن مدى نجاحه أو أخطائه، له شأن ومنزلة. إن إضفاء الكرامة في هذا البعد، يوفر البنية التحتية لتقبل التربية؛ لأن الشخص الذي يتعرض للإذلال، يبدى مقاومة أمام التنشئة والتربية. وقال النبي الأكرم ﷺ في توصية للأبوين: «أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم يغفر لكم». ^١ وتعد الكرامة الإنسانية في الرؤية الإسلامية، قيمة ذاتية وموهبة إلهية، صرح بها الباري عز وجل في الآية ٧٠ من سورة الإسراء: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ". وتشكل هذه الكرامة أساس كل تعليم وتربية ناجحتين، والهدف منها هو بناء شخصية تتحلّى بعزة النفس والاعتداد بالذات، لكي يختار الشخص بمحض إرادته، سلوك طريق السعادة.

وتشكل المحبة، المحور الرئيسي للتواصل في الأسرة. إن هذا المبدأ ليس يعد أمرا أخلاقيا فحسب بل أسلوبا تربويا مؤثرا. واعتبر الإمام الصادق (عليه السلام) أن حب الأطفال، هو أفضل الأعمال. ويجب أن تكون المحبة فعلية ومشروطة وكافية. إن المحبة المفرطة، يمكن أن تؤدي إلى الدلال والمحبة القليلة، يمكن أن تشكل أرضية للانحراف والميلان نحو المحبة الخارجية الزائفة. وقال الإمام الباقر (عليه السلام) في هذا الخصوص: "شرّ الآباء من دعاه البرّ إلى الإفراط". ^٢ لذلك فإن المحبة الصحيحة، تمهد لاجداد الثقة لكي يعتبر الشاب والحدث، الأسرة أول ملجأ له في مواجهة التحديات. ^٣ ولتطبيق مبدأ الكرامة والإكرام، لا بد من الاهتمام بالحالات التالية:

١. ألا نقارن الأطفال بعضهم ببعض: بمعنى ألا نقارنهم ليس مع أخواتهم وإخوانهم فحسب بل مع أبناء الآخرين، وأن يكون كلامنا دائما موجها للطفل ذاته وسلوكه، لا سلوك الآخرين.

٢. ألا نسيء لشخصية الأطفال: إن الإكرام يعني أن نفصل أخطاءه عن شخصيته. ولا يجب استهداف هويته من أجل إصلاح سلوك خاطئ له. إن التنبيهات يجب أن تركز على الفعل، لا الفاعل. إن الكرامة الذاتية للإنسان، تشكل أرضية لقبول عبادة الله. إن الذي يعتبره نفسه ذليلا، فمن الصعب عليه أن يعتبر نفسه لائقا وجديرا للقرب الإلهي. ^٤ لأن يجب توبيخ سلوك الطفل فقط، من دون إهانة شخصيته وإذلاله.

٣. ألا نوبخ الأطفال أمام الآخرين.

٤. أن نوضح لأبنائنا مكانة الإنسان عند الله وأولياء الله: في الرؤية الإسلامية، فإن الكرامة الإنسانية قد أعطيت لجميع البشر، بيد أن الكرامة المكتسبة، أي المحبوبة لدى الله تبارك وتعالى، تتحقق من خلال التقوى والعمل الصالح. ويتعين تعليم الأطفال أنه رغم أن الثروة والمكانة الاجتماعية، يمكن أن تستحدثا احتراما

ظاهريا، لكن الكرامة الحقيقية، مرتبطة بالقيم الأخلاقية والمعنوية بما فيها الصدق وتحمل المسؤولية والطهر. وهذا التعليم، يساعدنا على امتلاك المعيار الباطني للتقييم، لا المعيار الاجتماعي المتغير. ^٥

٥. أن نذكر أبنائنا على الدوام وبصورة مباشرة وغير مباشرة، بقيمتهم واحترامهم.

الخطوة السابعة: تجسيد عاقبة الذنوب والزلات

إن اعتماد الآباء الأساليب المختلفة والأخبار، والمعلومات لوضعها بتصرف أبنائهم لتوعيتهم إزاء عاقبة الاستخدام غير الملائم للفضاء الافتراضي، فأنهم يكونون قد أحدثوا نوعا من التحكم الذاتي لديهم، ما يسهم في المزيد من تحصينهم أمام هذه الأضرار.

الخطوة الثامنة: مراقبة الأصدقاء

إن المراقبة والإشراف على الأبناء، يعدان أحد الواجبات المهمة الملقاة على عاتق الآباء. وبلا ريب، فإن الطفل وبسبب مروره بمرحلة حرجية، قد يتركب في أي لحظة، خطأ وتهديدا اجتماعيا. وفي هذا الخضم، فإن بمقدور الأبوين بوصفهم بملكون خبرة أكبر، الإشراف بدراية خاصة على تصرفات أبنائهم، وتوجيههم بعدم الانزلاق نحو الانحراف والضرر.

ويحظى الأبناء الذين يخضعون لظروف المراقبة والإشراف، بأنسب نمو. ويقول الله سبحانه وتعالى حول صحبة أصدقاء السوء الأمر الذي يؤدي إلى الانحراف لدى الإنسان: «وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا وَيُلْقَى لَيْتَنِي لِمَ اتَّخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلًا» ^٦

إن أثر الصديق على الإنسان هو بدرجة أنه يجب معرفة أصدقاء الشخص وأصحابه لكي يتم من خلالها التعرف على الشخص ذاته، وطبيعته وشخصيته. وعن أثر الصديق على الإنسان يقول النبي الأكرم ﷺ:

«مثل المجلس الصالح مثل الدّاري إنّ لم تجد عطره علقك ريحه و مثل مجلس السّوء مثل صاحب الكبر إنّ لم يحرقك شرار ناره علقك من نتنه» ^٧

لذلك فإن الأب والأم الواعيان، يجب أن يسعيا لتوفير الظروف اللازمة، في سبيل انتخاب أفضل الأصدقاء لأبنائهما، وتعريفهم إن بصورة مباشرة أو غير مباشرة على المعايير الصحيحة لانتخاب الصديق والجليس، وتنبيههم إلى مخاطر صداقات السوء وذلك في هيئة قصص ووقائع وبصورة غير مباشرة، لكي يتمكنوا بذلك من سد نقص خبرات الأبناء إلى حد ما. ^٨

الأريستقراطية السوداء



الخطوة التاسعة: الزواج في أوانه

«وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ»^٩
إن أهمية الزواج من وجهة نظر الاسلام لدرجة أن النبي الأكرم ﷺ قال بشأنه:

«ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عز وجل من التزويج»^{١٠}
ويساهم الزواج في منع انتشار الفساد والبغاء في المجتمع، ويضع الغريزة الجنسية في مسارها الصحيح. وفي المقابل، فإن التأخر في الزواج يمكن أن تكون له تبعات اجتماعية كبيرة بما فيها التوجه نحو إقامة علاقات غير مألوفة بين الفتيات والفتيان، سواء عن طريق الفضاء الافتراضي أو حضورياً، وفقدان النضارة والشباب وحدوث الاكتئاب والاضطرابات الجنسية والكثير من الأضرار الأخرى. والنقطة المهمة جداً هي أن الوصول السهل وقليل التكلفة إلى الصور والأفلام غير الأخلاقية والجنسية وإشباع الغريزة الجنسية بالوسائل المحرمة يخفف الدوافع لدى الشباب في الزواج، ويحدث لهم أضراراً بالغة، ولهذا السبب، فإن الزواج في أوانه، يشكل أفضل طريق لتحسين حياة الشباب حاضراً ومستقبلاً.

الخطوة العاشرة: الاستعانة بالمتخصصين

ويتعين على الآباء الانتباه إلى أن أي شبهة واستفسار دينيين للأبناء، لا يجب أن يبقيا من دون جواب، لأنه ستكون لها تبعات كثيرة في المستقبل، وعليه، فإن أفضل السبل للرد على هذه الشبهات، هو الاستعانة بالمتخصصين البارعين الذين يعطون إجابات مناسبة لاسئلة أبنائنا، ولا يتركوا أي شبهة وشكوك تبقى عالقة في أذهانهم.

الهوامش:

١. «مكارم الأخلاق»، ص ٢٢٢.
٢. «تاريخ البعقوبي»، البعقوبي، ج ٢، ص ٣٢٠.
3. <https://www.mehrnews.com/news/6613386>
4. <https://www.mehrnews.com/news/6613386>
5. <https://www.mehrnews.com/news/6613386>
٦. سورة الفرقان، الآية ٢٧ و ٢٨.
٧. «نسخ الفصاحة»، ح ٢٧١٠.
8. <https://www.balagh.ir/content/2068>
٩. سورة النور، الآية ٣٢.
١٠. «وسائل الشيعة»، الحر العاملي، ج ٢٠ ص ١٤.

استنتاج

وفي الختام يجب القول أن ثمة الكثير من الطرق التي لم تُسلّك، وقد يملك الأبناء أساليب أخرى تمكنهم من خفض أضرار الفضاء الافتراضي وتكون ذا أثر. ويتعين فقط الانتباه إلى أن الفضاء الافتراضي وأضراره لن يبقيا بانتظار الآباء حتى إن سنحت لهم الفرصة يقومون بتحصين أبنائهم، بل أنه في كمين دائم للأجهزة على الأبناء لحرفهم عن الجادة الصواب، لذلك يتعين استدراك الموقف سريعاً لكي لا نصاب تالياً بالتحسر والندم.

جزء كبير من عالم اليوم. بعبارة أخرى، فإنه يمكن تتبع جذور الكثير من النخبة والصفوة والحكام الأوروبيين المعاصرين في العصور الوسطى، أي أن مجملهم يضرب بجذوره في التاريخ الماضي لأوروبا.

إن معظم حضور الأريستقراطية في المجتمع البشري وأنشط فترة اضطلعت فيها بأدوار تعود إلى حقبة العصور الوسطى. وحسب علماء الاجتماع السياسي؛

إن الأريستقراطية الإقطاعية (بمواكبة رجال الدين المسيحيين) كانت تشكل الطبقة الأوروبية الحاكمة في العصور الوسطى.^٤

الأريستقراطية؛ سيادة النخبة الأوروبية في عالم اليوم

ولا أحد يستطيع الزعم أنه قادر على إعطاء شرح كامل عن السلسلة الطويلة للمحافل السرية والتواصل التنظيمي لهذه المحافل وطريقة عملها الدقيقة. ومع ذلك، يمكن من خلال الإستناد إلى الكثير من القرائن والشواهد التي تحصلت بشكل رئيسي بفعل الجهود الحثيثة لبعض الباحثين المتفانين، العثور على تواصل وارتباط وثيق بين هذه المحافل السرية والأريستقراطية الأوروبية السوداء.

وعلى الرغم من التصور العام لشعوب العالم ممن يبحثون عن جذور المحافل السرية ومدراء الطراز الأول للعالم الغربي في «أمريكا»، فإن مفتاح إدارة وتنظيم العلاقات السياسية والاقتصادية والأمنية وحتى العسكرية العامة في العالم يكمن في العصر الحاضر، في الأسر الأريستقراطية الأوروبية وعلى وجه الخصوص «بريطانيا». ويطلق على الأريستقراطية صاحبة النفوذ والصوت في المحافل السرية (حكومة الظل) في الغرب إسم الأريستقراطية السوداء.

إن مفهوم الأريستقراطية وكما يستشف من آراء أفلاطون وأرسطو في باب الحكم الأريستقراطي، يطلق على العرق والأصل والنسب النبيل.^١ وإن كانت مفردة الأشراف رديفاً لـ Nobility^٢ فإنه يتم دراستها في علم اجتماع عدم التكافؤ، وإن كانت رديفاً للأريستقراطية^٣ فإنه يتم دراستها في العلوم السياسية لاسيما الفلسفة السياسية؛ ورغم أنه لا يجري الحديث اليوم عن الأريستقراطية التقليدية بمعنى الإقطاعيون من الطبقة المميزة ما قبل الرأسمالية، لكن ورغم تغير الأوجه التقليدية للأريستقراطية، فإن طبقات النبلاء وحكومة أثرياء المجتمعات الأوروبية حافظت على تفوقها الاجتماعي في ضوء حفظ موقعها الاجتماعي ومزاياها الأسرية وإستحواذها على الرساميل المادية الضخمة، وهي تمسك بيدها بمقدرات

إن النظام الإقطاعي^٥ في أوروبا الغربية منذ القرن الخامس وحتى القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلاد في روسية ومنذ القرن التاسع وحتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر في شرق أوروبا، كان واحدا من أهم سمات حضارة العصور الوسطى، سلسلة من الحكام بوصفها بديلا لسلسلة أباطرة وشيوخ روما. وتعني «feu» في اللغة «قطعة أرض» و «Feudalism» النظام الإقطاعي المبني على ملكية الأرض. ومنذ منتصف القرن الرابع، باتت الإمبراطورية الرومانية وبكل جيروتها وماضيها، غير قادرة على تنظيم نفسها. فقد قوض تمرد الرقيق والمزارعين، هذه الإمبراطورية.

ودفعت الضرائب الباهضة، المزارعين إلى بيع أراضيهم للملاك الكبار، وأت يتحولوا إلى مستوطنين أو تابعين للأرض ويبيعون ويشتررون معها.

لقد كان النظام الإقطاعي حصيلة إغيار الإمبراطورية الرومانية وبديلا للاقتصاد السياسي المبني على العبودية... وأفضى هذا البديل إلى الاستئثار بالملكية الخاصة للأرض (والتي خلدت قانون الميراث للأولاد وإرثه غير القابل للإنتقال) وكذلك إيجاد نظام القنانة (عبودية الأرض) وتركز السلطة السياسية والاقتصادية في المجتمع القروي وإيجاد ضرب من النظام الإريستقراطي الدائم وتوزيع صلاحيات الحكومة وتشكيل منظمة التراتيبية المماثلة للكنيسة.^٦

إن سمة إنطلاق النظام الإقطاعي في هيئته الكلاسيكية، تمثلت في حكومة مركزية قوية والتقسيم والتشتت السياسي.

وكان النبلاء الإقطاعيين يملك كل منهم، حصة كبيرة من أراضي البلاد.

وفي تلك الأزمنة والأوطان، كان المجتمع يتكون من رجال أحرار ورقيق وعبيد. وكانت طبقة الأحرار تتألف من النبلاء ورجال الدين والجنود المحترفين وأصحاب المهن ومعظم التجار والصناعيين والمزارعين، والذين كانوا يتمتعون أراضيهم في مقابل الأسرة الإقطاعية إزاء تعهد طفيف أو من دون أي تعهد، أو يستأجرونها من صاحبها لقاء مبلغ نقدي ما.^٧

وكان العبيد يسمون الأقتة، وكان يطلق على هذا النظام الإقطاعي في أوروبا إسم «سرواج».

وكان الملك يقع في قمة التسلسل الهرمي الإقطاعي. وكل إقطاعي كان سيذا وكان المقطعون يسدون خدمة له. وكل مُقطّع كان يملك منطقة أو حصنا، لقاء تقديم خدمة لسيد. وكانت هذه الإقطاعيات تتحول لاحقا إلى ميراث ينتقل إلى الوراث.

وكان الإقطاعي يبني قلاعاً وحصونا لحماية رأسماله (الأرض والمزارعين) تسمى «بورغ».

وفي ذلك العصر، كان الريف لا المدينة، يشكل أساسيات الحياة الاجتماعية، وكانت البلاد تقسم إلى إقطاعيات كبرى، تتملكها أسرة نبيلة. والمقصود هنا من التملك، شئ يفوق الملكية البحتة. ففي

أوروبا تلك الحقبة، لم تكن الأرض تعتبر سلعة، ونادرا ما كانت تباع وتشترى. إن رئيس الأسرة الأريستقراطية لكل إقطاعية وبالأحرى السيد الإقطاعي أو اللورد، كان في الحقيقة حاكما ومالكا أو مالك الرقاب وحاكما ومالكا للأرض، ومتسلطا على أرواح وأموال الناس المقيمين في تلك الإقطاعية وجميع الأراضي والمياه وكل الإحتياجات والموارد تحت الأرض وسطح الأرض عنده.^٨

وكان القصر أو محفل الإقطاعي الذي جاء مستكملا للقلعة المحصنة للمحافل الرومانية (كاستروم وكاستلوم)، كان بمنزلة القصر الحصين للنبلاء الرومان وقلعة أو بورغ الأمراء الامان، وكان يشيد في سبيل الأمن أكثر منه للراحة...

وفي وسط القلعة، كان يقع أكثر المباني متانة وتحصينا أي بيت السيد. وكان هذا البيت في معظم الحالات، على شكل برج مربع عظيم يصنع من الخشب. وحتى القرن الثاني عشر، حل الحجر محل الخشب في بناء هذا القليل من البيوت للأسياد، وتحول شكل البرج إلى مستدير لكي يصبح من السهل الدفاع... وظهرت من مبني هذه الأبراج حصون وقصور بريطانيا والمانيا وفرنسا المنيعه خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، وأصبحت الأحجار غير القابلة للإستلاء تشكل أساس القوة العسكرية للسيد ضد المستأجرين والملك.^٩

وحتى أواخر القرن الرابع للميلاد، كان المسيحيون يتعرضون للحرمان والتضييق والضغط السياسي والإجتماعي الناجم عن هيمنة الإمبراطورية الرومانية الموحدة. إلى أن إتسمت المسيحية بطابع رسمي عام ٣٩٣ للميلاد، وتحولت بالتدرج إلى أكبر وأهم المؤسسات الدينية والسياسية والإجتماعية لأوروبا العصور الوسطى.

وفي إطار النظم الإقطاعي، باتت الكنيسة الكاثوليكية وبجانب سائر الإقطاعيين، صاحبة قوة وشوكة.

وكان الأرشيد (وهو السينيور بين الرومان وفي الألمانية السيد وفي الإنجليزية اللورد)^{١٠} أسقفا أو رئيس دير في ريف ما. وبالرغم من أن الكثير من الرهبان، لم يكونوا يعملون وكانت الكثير من الأديرة والكتندراتيات شريكة في عشرينات منطقة الأسقف أو الرئيس، لكن المؤسسات الروحية الكبرى كانت بحاجة إلى المساعدة الإضافية، وكانت هذه المساعدات تقدم في الغالب من هبات الملوك والنبلاء على شكل هدايا كأرض أو حصة من عوائد الإقطاعية. وعندما تراكمت وتكدست هذه الهدايا، تحولت الكنيسة إلى أكبر ملاك في أوروبا وأفخم سيد الأسياد الإقطاعيين.

وكان دير «فولدا» الشهير يتكون من خمسة عشرة ألف فيلا ودير «سن غال» يضم ألفي عبد رقيق. وكان ألكوين في «تورخاوند» يضم عشرين ألف عبد رقيق. وكان كبار الأساقفة والأساقفة ورؤساء الأديرة يتسلمون مناصبهم من يد الملك، وكانوا مثلهم مثل باقي التابعين أو المقطعين، يبايعونه ويحلمون بالتالي ألقابا بما فيها الدوق والكونت، ويسكون نقودا معدنية باسمهم ويتأسون المحاكم الكنسية

والأسقفية ويتولون تمشية الشؤون الزراعية والتموين العسكري والذي كان من واجبات الإقطاعيين.^{١١}

وكان أساس النظام الإقطاعي يقوم على التعهدات المتبادلة، العبد الرقيق أو التابع المقطع ملتزم أمام السيد الأرشيد من الناحية الإقتصادية والعسكرية وبنفس الطريقة، كان السيد الأرشيد متعهدا أمام سيده الأرشيد أو الأرشيد الأعلى منه منصبا وهو بدوره أمام الملك.^{١٢} وكان الملك إقطاعيا ويملك منصبا شكليا وحقما في الدعاوى بين الإقطاعيين.

وتحولت الأموال والممتلكات الدنيوية وحقوق وتعهدات إقطاعي الكنيسة إلى سبب للتضييق على المؤمنين المسيحيين وعاملا لسوء سمعة رجال الدين وذريعة للمبتدعين وأصحاب الهرطقة ومنطلقا لنشوب الخلافات الحادة بين الأباطرة والبابوات. وكان النظام الإقطاعي سببا لتحول الكنيسة إلى ملوك الطوائف، بمعنى أن الكنيسة كانت في القرن الثاني عشر، مؤسسة إقطاعية وتملك تراتيبية وتسلسلا هرميا من تعهدات الخدمة والحماية المتبادلة والتي كانت تدار في ظل مصادقة الأساقفة عليها وتحت إشراف سيد الاسياد، وهو البابا نفسه.^{١٣}

ولكي يميز نبلاء أوروبا، الفرسان الذين يرتدون الدرع والخوذة عن الآخرين، قلدوا الأسلوب المتبع لدى المسلمين، بمعنى أنهم قاموا برسم ونحت العلامات الأسرية الخاصة بهم أو النقوش الخاصة بالنبلاء على ملابسهم الشخصية وملابس الخدم والملازمين لهم وعلى الرايات والدروع ومعداتهم وتجهيزاتهم. ومذاك، ظهرت لغة سرية خاصة بين أسر النبلاء، كان يفهمها فقط الفرسان والمشرفين والعاملين في منح العلامم والنقوش الأسرية للنبلاء وشجرة العائلة.^{١٤}

وسنرى تاليا كيف أن هذه النقوش والعلامات، أعمدت كرموز في المحافل السرية وأعلام الدول الأوروبية...

إن قيام النبالة الأوروبية على العنصر والنسب والعرق، يميزها عن سائر الحالات المماثلة بين سائر الأمم والشعوب. إن مفهوم الأريستقراطية^{١٥} وكما يُستشف من آراء وأفكار افلاطون وأرسطو في باب الحكومة الأريستقراطية، يطلق أصلا على العرق والعنصر والنسب النبيل.

وجرى الحديث عادة عن ثلاث أريستقراطيات في تاريخ أوروبا، الأولى أريستقراطية المختد من نوع الأريستقراطية التقليدية الفرنسية ما قبل الثورة، والثانية، الأريستقراطية العسكرية، مثل أريستقراطية «بروس» والثالثة الأريستقراطية الديوانية الذين كانت مكانتهم مبنية على المناصب التي كان الحكام يفوضونها لهم، بما في ذلك جزء من الأريستقراطية الحاكمة في «فرنسا».^{١٦} وفي الدول التي كانت تملك هذا النوع من الأريستقراطية القوية، كان حق تغيير الملك أو العائلة المالكة من الإمتيازات الاريسقراطية... وكانت طبقة النبلاء والأريستقراط وفي ضوء قدمها الممتد لعدة قرون، قادرة على حفظ إقتدار ومتانة النظام بشكل جيد.^{١٧}

الهوامش:

١. بشريه، حسين، «علم الإجتماع السياسي»، طهران، ني للنشر، الطبعة الثامنة عشرة، ١٣٨٩ هـ.ش.، ص ١٩٤.
٢. وتعني Nobility في اللغة النبالة والنبل والفخامة والشهامة والشرف. (آريان بور، منوهر وآخرون، «قاموس إنكليسي - فارسي»، طهران، جهان رايناه، ج ١، ص ١٥٣٦).
٣. Aristocracy الأريستقراطية.
٤. بشريه، حسين، «علم الإجتماع السياسي»، ني للنشر، ص ١٩٦.
5. Feudalism.
٦. كاتوزيان، محمدعلي طاهر، «تسع مقالات في علم الإجتماع التاريخي الإيراني»، المركز للنشر، ١٣٧٧ هـ.ش.، صص ٥٩-٦٠.
٧. ديورانت، ويل، «قصة الحضارة»، عصر الإيمان (القسم الأول)، مؤسسة الثورة الإسلامية للنشر والتعليم، ١٣٦٨ هـ.ش.، ج ٤، ص ٧١٦.
٨. المصدر السابق.
٩. المصدر السابق، ص ٧٢٦ و ٧٢٧.
١٠. المصدر السابق، ص ٧٢٥.
١١. المصدر السابق، ص ٧٣١.
١٢. المصدر السابق، ص ٧٢٥.
١٣. المصدر السابق، ص ٧٣١.
١٤. المصدر السابق، ص ٧٢٨.

15. Aristocracy

١٦. بشريه، حسين، «علم الإجتماع السياسي»، ١٣٧٤ هـ.ش.، ني للنشر، ص ١٩٤.
١٧. المصدر السابق، صص ١٩٥-١٩٨.

المصدر: «التاريخ الثقافي لقبيلة اللعنة» (الجزء السابع): الماسونية بين الحياة السياسية والإجتماعية للشعوب»، إسماعيل شفيعي سروسستاني، طهران، هلال، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م.

والمراهقين الجانحين في أسرة لا يتعامل فيها الوالدان مع بعضهما البعض بشكل جيد ويكونون قاسيين أو غير مباليين بأطفالهم. يعد إدمان المخدرات أحد أكثر الملوثات تدميراً والتي لها تأثير سلبي على سلوك المراهقين. وفقاً للعلماء والدراسات العلمية، فإن نتيجة إدمان الأولاد هم الوالدين و برودة مركز الأسرة، وضعف الارتباط العاطفي، وعواقب ذلك سوء التربية والتعليم، والشعور بالخزي، والاضطراب في الحياة، والميل إلى الانحراف مما يؤدي إلى أن يرتكب المراهقين جريمة. الآباء هم أفضل قدوة لأبنائهم، وإذا لم يكن هناك رد فعل مناسب ومحسوب على سلوك الطفل الطبيعي والفطري ويعطي الوالدين إجابات غير ذات صلة، ومخيفة، وأحياناً عنيفة وسوء الفهم، سيؤدي إلى أن ينشأ فيه الانحراف الروحي والفكري والجنوح. يجب ألا تنسى العائلات أنها مسؤولة عن مستقبل أطفالها. المراهق الذي يقضي اليوم على أعلى المستويات العلمية والروحية وعلى طريق التطور والفضائل الأخلاقية، والمراهق الذي يقضي أفضل أيامه بالجريمة والخيانة كلاهما نتاج تربية العائلة.

الهامش:

١. «سفينة البحار»، ج ٢، ص ٢٧٨.

المصدر: موقع الواح طينية.



لا يبقى عرضة لهجوم هذه الرغبات. يجب أن يتماشى سلوك الوالدين مع أقوالهم وهذا المبدأ المهم أكداه الإمام الصادق عليه السلام: «كونوا دعاة الناس بأعمالكم ولا تكونوا دعاة بالسنتكم»^١ التناقض بين أقوال الوالدين وأفعالهما يربك الطفل ويحيره. يجب على الآباء الانتباه إلى حقيقة أنهم يعتبرونهم قدوة عند تربية أطفالهم في المنزل، ولخلق سمات جيدة وتعزيز الصفات المرغوبة والعادات الأبوية المرغوبة، يجب عليهم اتخاذ الإجراءات وعدم الاكتفاء بالتذكيرات والنصائح. يجب أن يكون الآباء أكثر حرصاً في تصرفاتهم وسلوكهم، وكيف ما أرادوا أن يربوا أبنائهم، فعليهم أن يتصرفوا هم بهذا أولاً، وإلا فإن النصيحة بالعكس لها تأثير معاكس. يجب على الآباء ألا ينسوا أنهم بنوع توجيههم، فإنهم يحددون مصير الطفل ويمررون لهم ما لديهم. لذلك، إذا كان مأخوذاً من كلام الأئمة وخبراء العلوم التربوية، فيوصى للوالدين أنه إذا كنتم تريدون أن يكون لديكم طفل نظيف، تقي، مجتهد، فمن الطرق الأساسية أن تكونوا انتم هكذا. بشكل عام، يتم تربية الأطفال

بحسب احاديث المعصومين عليه السلام، تم تسمية المرحلة العمرية التي تكون من سن الرابعة عشرة إلى الحادية والعشرين بمرحلة الوزارة. لأن الطفل في هذا العمر مستعد لتحمل المسؤولية ويمكنه تحمل جزء من العبء الثقيل للأسرة. يجب على الآباء أيضاً توفير فرص لأبنائهم للمشاركة في الأعمال المنزلية وفقاً لسن المراهقين، ويجب ألا ينسوا التشاور مع الطفل. لأنهم في ضوء هكذا آباء يحترمون مشاعر وعواطف أولادهم وإلى حد ما يدركون الحالات السلوكية والنفسية لأبنائهم المراهقين سيرون اشخاص جيدين في المجتمع. عندما يشعر الأطفال باحترام ميولهم وحقوقهم وأن الأسرة لا تحكمها الديكتاتورية، و لا يتشاجرون مع والديهم، ويتم ضمان استقلالهم الفكري، سيشعرون براحة أكبر. تتزامن هذه الفترة مع هجمة الغرائز الجامحة، وخاصة الميول الجنسية مثل العاصفة الرهيبة تجاه المراهقين ولهذا السبب يجب على الآباء محاولة تقوية حالات أطفالهم الروحية والعقائدية وتزويدهم بالمعرفة اللازمة للاعتدال والسيطرة على غرائزهم وحفظها من الأذى حتى

شواهد التصدي للإمامة الفعلية

وعليه فمن الخطأ أن تفسر الغيبة في مقابل الحضور لأن معناها حينئذٍ أن الإمام (عليه السلام) في فترة الغيبة الكبرى غير حاضر فما يذكر من تعابير نحو عصر الحضور أو زمن الحضور وغيرها تعابير خاطئة، فإنّ الإمام (عليه السلام) حاضر بيننا ولم تخل منه الديار وإن كان غائباً إذ كونه غائباً يعني مستتراً ومختفياً وإلاّ فالكثير من روايات أهل البيت (عليهم السلام) تذكر هذا الأمر على أنه واضح وضروري وأنه (عليه السلام) يعيش في وسط وكبد الحدث، ففي روايات الفريقين في بيان وتفسير ليلة القدر أن هناك برامج وملفات لإدارة الأرض من صغير الأمور وكبيرها تنزل عليه من إحصائيات الأزواق والأجال وإحصائيات البركات التي تزدهر بها الأرض والآفات.

وهذه الاحصائيات لا تدري حتىّ الدول العظمى أيّ تأثير وأثر لمحاسبات مثل هذه الاحصائيات، فإنّ علم الاحصائيات بات من الواضح أنه هو الذي يرسم استراتيجية المستقبل، فكلما كانت الدول أكبر وأعظم كانت أقدر وأكثر استطاعة لأن ترسم لنفسها تدابير أكثر.

وهذه الملفات والبرامج التي تنزل على ولي الأمر الإمام المهدي (عليه السلام) كل عام في ليلة القدر هي ملفات ومعلومات مُذهلة هائلة مهولة إلى الآن ليست هي في الوعي العلمي للبشر والتي يعبر عنها في العلوم الاستراتيجية أو علم القيادة والإدارة بالتدبير وإمساك الأرض باليد واختراق الأنظمة، وهذا المعنى رواه الفريقان من الشيعة والسنة في بيان ليلة القدر^١ وفي ذيل سورة الدخان وسورة النحل وقد ذكرنا بيان ذلك في كتاب الإمامة الإلهية^٢ كما ذكرنا فيه مقتطفات من أقوال الفريقين.

وهناك آيات أخرى دالة على ذلك كقوله تعالى: «وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةً»^٣ فلم يعبر بالرسول أو النبي بل قال: «إِنِّيْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةً» فهي معادلة كلية دائمية دأبة إلى نهاية حياة البشرية في الأرض، فخلافة الله على الارض ابتدأت من أول الحياة للبشرية إلى انتهائها فحجة الله على الأرض كما ورد في الروايات قبل الخلق ومع الخلق وبعد

الخلق،^٤ وأوّل مهمّة بيّنها الله للخليفة والحجة على الأرض هي دفع الإفساد والقيام بالاصلاح فأحد تسميات الإمامة في القرآن هو الخليفة لأنه يستخلف في التدبير والتصرف في الأمور فهو عنده قدرة التدبير، ومن ثمّ أورد تعالى أوّل تفسير لمعنى الخليفة قول الملائكة بعد ذلك: «قَالُوا أ تَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ»^٥ ذكر اعتراض الملائكة لأنه يريد أن يتحدّث عن إحدى وظائف الخليفة المهمة فيّن شأن ومقام وصلاحيات الخليفة من خلال الجواب على اعتراض الملائكة بالافساد في الأرض وسفك الدماء إذ قال تعالى: «قَالَ إِنِّيْٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ» يعني هذان الخذوران اللذان يخشى الملائكة منهما يتم تفاديهما ودرؤهما وعلاجهما بتوسط الخليفة في الأرض كأبرز مهمّة له فيها وهي دفع الافساد والحيولة دون سفك الدماء والقيام بالاصلاح.

والمقصود من الافساد أي الفساد الأكثر بأن تكون نسبة الفساد إلى الخير والصلاح أكثر من ٥٠٪ وإلاّ لو كانت ٥٠٪ أو أقل لم تصلح كمادة نقض للملائكة إذ سيكون الخير والاصلاح هو الأكثر.

فالقرآن الكريم يذكر لنا أن الخليفة هو الذي يحول دون الفساد الأكثر في الأرض سواء أكان ذلك الفساد أخلاقياً أم صحياً أم سياسياً أم إدارياً أم زراعياً... بل إنه سيعمل على عمارة الأرض وإصلاحها في جوانب شتى فيحول بين الأنظمة المتحكمة المتغلبة على البشر وبين وقوع الفساد فإنّ له قدرة إدارة الأرض لأن الله استخلفه فيها وعلمه الأسماء «وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ إِن كُنْتُمْ صٰٓدِقِيْنَ»^٦ فهذا العلم الذي يعطيه الله عزّ وجلّ للخليفة يمكنه من إدارة وتدبير الأرض، وإن هذه الإدارة والتدبير خفية سرية وهي مصدر القوة والقدرة لأجل الاصلاح النسبي وإلاّ فإنّ الاصلاح التام الكامل سيكون في الظهور ودولة المهدي (عليه السلام) أما الاصلاح النسبي فهو الواقع والممارس منذ آدم (عليه السلام) إلى نبينا الخاتم (عليه السلام) وإلى أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فإنّ

هذه النسبة من الاصلاح والتدبير كانت لدى كل الأئمة (عليهم السلام) وإن لم تكن معلنة.

فالباري تعالى يقول للنبي إبراهيم (عليه السلام): «قَالَ إِنِّيْ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا»^٧ مع أن التاريخ لم يحدّثنا أن النبي إبراهيم (عليه السلام) قد ملك «العراق» أو «الشام» أو «فلسطين» أو «مصر» أو «الجزيرة العربية»، وهكذا أخبرنا الباري تعالى في «القرآن» أن يعقوب وإسحاق (عليهم السلام) جعلهما الله أئمة يهدون بأمره: «وَ جَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ * وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَآيَاتِنَا يُوْفُّوْنَ»^٨ وأيضاً لم يحدّثنا التاريخ أبداً عن أنهما تصديا إلى ملك في العلن.

فإنّ ابراهيم ويعقوب وإسحاق (عليهم السلام) تُسببت لهم الإمامة والقيادة والتدبير والاصلاح مع أنهم كانوا يعيشون كالرعية لأنظمة أخرى حسب صورة ظاهر السطح، ولكن التاريخ سجل لنا أن النبي إبراهيم (عليه السلام) استطاع أن يبدل عقائد وعبادة شعوب وأقوام الشرق الأوسط من عباد وثنية إلى ملّة توحيدية حنيفية.

ومعلوم ومذكور في العلوم الاجتماعية والعلوم السياسية والعلوم الحضارية والعلوم الاستراتيجية أن تبديل العقيدة والدين ليس من قدرة الحكومات أبداً لأنّ العقيدة حكومة فوق الحكومات، فكيف استطاع إبراهيم (عليه السلام) كفرد تبديل عقائد تلك الأمم ولم تكن وسائل إعلام كما للغربيين الآن ولا غير ذلك، وقد نجد في التاريخ الحديث دولاّ عظمى كالاتحاد السوفيتي لم يستطع تغيير دين وعقائد بعض الدول الإسلامية مثل أوزبكستان وتركمانستان وأذربيجان فبكل ما أوتي من جيروت وغطرسة وسفك دماء وإرهاب وإعلام... خلال مائة سنة حكم الروس هذه الدول بالتعسف والدم والإرهاب لم يتمكّنوا من تغيير الدين والاعتقاد.

وما قام به إبراهيم (عليه السلام) ليس صدفة أو اتفاقاً أو فجأة أو طفرة وإنما هناك شبكة وإدارة خطيرة كان يتحكم فيها النبي إبراهيم في تلك الشعوب من خلال ذلك استطاع أن يقيم وينجز التغيير العظيم، وهكذا النبي يعقوب أو النبي إسحاق (عليهم السلام).

فالقرآن الكريم يطلّعنا على أن الإمامة لها جهاز خفي نعرفه لو تأملنا سورة الكهف وقصة الخضر وموسى (عليهم السلام) فالقرآن يريد أن يبيّن لنا أن الخضر كان في ضمن مجموعة خفية لديها مأموريات ومهمّات وأدوار لا تنافي ضروريات عقائد وأحكام الشريعة، قال تعالى: «فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا»^٩ فإنّ تلك الأدوار والمأموريات كما حدّث الخضر النبي موسى (عليه السلام) أمّا على قسطاس وصرات الشريعة وذلك عندما اعترض عليه النبي موسى (عليه السلام) وحاججه بظواهر الشريعة كما مرّ ذلك.

الهوامش:

١. «الإمامة الإلهية»، ج ٣، ص ٢٧٦، الفصل السابع ليلة القدر حقيقة الإمامة (أسس المعرفة) و ص ٤٠١، الفصل الثامن معتقدات الإمامة والمهدي (حاضر المعرفة).

٢. كتاب «الإمامة الإلهية» مجموعة بحوث استغرقت العامين الدراسيين ١٤١٧ و ١٤١٨ هـ. في الجزء الأوّل وقد قام بتحرير وضبط هذه المباحث ثلة من ذوي البصيرة والمعرفة من تلامذة المصنف والكتاب يعتبر من أهم روافد المكتبة الإسلامية في باب العقيدة والمعرفة حسب منهج أهل البيت (عليهم السلام) في الإمامة الإلهية، ويقع الكتاب في أربعة أجزاء وثلاثة مجلدات ويحوي في طياته ثمانية فصول فضلاً عن فصول الجزء الرابع اشتملت على عدة مباحث ومقالات وفوائد ونماذج وتطبيقات تضمنت بمجالها أبحاث ذات قيمة علمية عالية جداً وبعد تخصصي نوعي في بابها بل الكثير من مطالب الكتاب لم تخرج من قبل بمكذا أسلوب علمي وبعد تخصصي رصين، فجاء هذا الكتاب القيم فريداً في باب، ومن بين تلك الفصول المهمة التي لا ينبغي للقارئ إهمالها الفصل السابع والثامن الذين تجلّى فيهما البعد التخصصي الفريد للمصنف في هذا الباب حيث أكسب البحث المهدي بعداً تخصصياً وطابعاً عصرياً لا يستغني عنه المتخصص فضلاً عن غيره.

٣. سورة البقرة، الآية ٣٠.

٤. في الرواية عن الصادق (عليه السلام) قال: «الحجة قبل الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق.» («الكافي»، ج ١، ص ١٧٧، باب أن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلّا بإمام، ح ٤).

٥. المصدر السابق.

٦. سورة البقرة، الآية ٣١.

٧. مصدر السابق، الآية ١٢٤.

٨. السجدة، الآيتان ٢٣ و ٢٤.

٩. سورة الكهف، الآية ٦٥.

المصدر: الشيخ محمد السند، «دعوى السفارة في الغيبة الكبرى»، إعداد وتحقيق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي (عليه السلام).

علي منتظر القائم

آمال آخر الزمان



يمكن أن يكون عصر المجران ورمزاً للبعد عن المحبوب، إلا أنه يمكن أن يكون كذلك فرصة لتقرب العباد من الله وكسب المزيد من رضاه، ولكن شرط أن نؤمن بمعتقداتنا، فلنصمد ونتخذ خطوات أكثر رسوخاً في طريق اكتساب معرفة حجة الله.

٣. عن عبد الله بن سنان أحد أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) أنه عليه السلام قال لهم ذات يوم:

«ستصيبيكم شبهة فتبقون بلا علم الله يرى و لا إمام هدى، لا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق.» قلت: كيف دعاء الغريق؟ قال: «تقول: يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.»^٥

نعم، في نهاية العالم وفي عصر الغيبة الغريب، ستأتي موجات الشك والفتنة من جميع الجهات، وقبل أن يعود الإنسان إلى رشده، سوف يتقلب مرتبكاً ويضيع مثل سفينة محطمة في قلب البحر اللامتناهي، ولكن هناك دائماً بارقة من الأمل لإنقاذ هذا الغريق اليائس من بحر الفتنة والشكوك. إن بارقة الأمل هذه ليست سوى التماس من الله سبحانه تعالى للمهداية والخلاص والالتزام الصادق بولاية الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

الهوامش:

١. «خرط القتاد» إشارة إلى المشقات. والخرط يعني السحب من أعلى الغصن إلى نهايته، والقتاد: نبات به أشواك كثيرة. ولأن لمس أغصان هذا النبات وإزالة أشواكه أمر صعب ومرهق للغاية، فإن العرب يشبهون أي عمل شاق بهذا الفعل، وأصبحت هذه الجملة مثلاً يقولون فيه: «دون هذا الأمر خرط القتاد»: «قاموس دهخدا»، مادة خرط؛ «قاموس لاروس» (عربي - فارسي)، مادة خرط و قتاد.

٢. كما أن «جر الغضاء» إشارة إلى صعوبة العمل. والجر هو القطع الملتهبة من النار، والغضاء هي شجرة تسمى أيضاً الأثل. إن خشب هذه الشجرة صلب جداً وقابل للاشتعال كثيراً، وبالتالي فإن العرب يقارنون المهام الصعبة جداً بإمساك الجمرات مشتعلة من خشب هذه الشجرة. انظر: المصدر نفية، مادة غضا.

٣. «بحار الأنوار»، ج ٥٢، صص ١٢٣ و ١٢٤، ح ٨.

٤. «الكافي»، ج ١، ص ٣٣٣، ح ٤١ «كمال الدين وتام النعمة»، ج ٢، باب ٣٣، ص ٣٣٩، ح ١٦.

٥. «كمال الدين وتام النعمة»، ج ٢، باب ٣٣، صص ٣٥١ و ٣٥٢، ح ٤٩.

على جمر الغضاء^٢ أولئك مصابيح الدجى، ينجيهم الله من كل فتنة الله غيراء الله مظلماً الله.»^٣

وفقاً لهذا الرواية، من الممكن أن نفهم مكانة المؤمنين الراسخين في آخر الزمان.

٢. وفي رواية أخرى نقلت عن الإمام الصادق (عليه السلام) أشار عليه السلام إلى آخر الزمان بعبارة «أقرب ما يكون العباد من الله»:

أقرب ما يكون العباد من الله - جلّ ذكره - و أرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله - جلّ وعزّ - و لم يظهر لهم و لم يعلموا مكانه و هم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجة الله - جلّ ذكره - و لا ميثاقه، فعندها فتوقعوا الفرج صباحاً و مساءً، فإنّ أشدّ ما يكون غضب الله على أعدائه إذا افتقدوا حجته و لم يظهر لهم، قد علم أنّ أوليائه لا يرتابون، ولو علم أنّهم يرتابون ما غيب حجته عنهم طرفة عين الله...»^٤

نستنتج من هذه الرواية أن آخر الزمان وعصر الغيبة، ورغم أنه

بالإضافة إلى الروايات المذكورة التي ذم فيها أهل آخر الزمان ولم يذكر فيها إلا صفاتهم السلبية، هناك أيضاً روايات تمدح فيها جماعات من الناس في آخر الزمان، لدرجة أنه يشار إليهم بـ «إخوة رسول الله». إنهم ليسوا إلا أولئك الذين يحافظون على دينهم وليمأنهم على الرغم من كل مشقات وصعوبات عصر الغيبة ويثبتون على عهدهم الإلهي. ومن بين هذه الروايات يمكننا الإشارة إلى مايلي:

١. يروي أبو بصير عن أبي جعفر [الإمام محمد الباقر (عليه السلام)] أنه قال: «قال رسول الله ﷺ ذات يوم و عنده جماعة من أصحابه: «اللهم لقني إخواني» مرتين فقال من حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟ فقال:

«لا، إنكم أصحابي، و إخواني قوم في آخر الزمان آمنوا و لم يروني، لقد عرفنيهم الله بأسمائهم و أسماء آبائهم و أرحام أمهاتهم. لأحدهم أشدّ بقاءً على دينه من خرط القتاد^١ في الليلة الظلماء. أو كالتابض



إسماعيل شفيعي سروستاني طلب مواكبة الثائر لدم الحسين عليه السلام

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «لما قتل جدّي الحسين عليه السلام ضجّت عليه الملائكة إلى الله تعالى بالبكاء والتّحيب و قالوا إلهنا و سيّدنا أ تغفل عمّن قتل صفوتك و ابن صفوتك و خيرتك من خلقك فأوحى الله عزّ و جلّ إليهم قرّوا ملائكتي فو عزّتي و جلالتي لأنتقمّ منهم و لو بعد حين ثمّ كشف الله عزّ و جلّ عن الأئمة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة فسرت الملائكة بذلك فإذا أحدهم قائم يصلى فقال الله عزّ و جلّ بذلك القائم أنتقم منهم.»^٣

وجاء في الرواية أن الإمام المهدي عليه السلام يقوم بهذا الشعار.^٤ وذكر ابن المشهدي في «المزار الكبير» أن الإمام ينادي بشعار «يا لثارات».

«السلام على الإمام العالم، الغائب عن الأبصار و الحاضر في الأمصار، و الغائب عن العيون، الحاضر في الأفكار، بقيّة الأخيار، الوارث ذا الفقار، الذي يظهر في بيت الله ذي الأستار، و ينادي بشعار يا لثارات الحسين أنا الطّالب بالأوتار، أنا قاصم كلّ جبار...»^٥

وحسب الشيخ الصدوق، فإن الإمام الرضا عليه السلام أوصى في حديث مع ريان بن شبيب بالباكين على الإمام الحسين عليه السلام واعتبر أن شعار أصحاب الإمام المهدي عليه السلام هو «يا لثارات الحسين».

«يَقُومُ الْقَائِمُ ﷺ فَيَكُونُونَ مِنْ أَنْصَارِهِ وَ شَعَارُهُمْ يَا لَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ...»^٦

وفي «زيارة عاشوراء» التي نعتبها «النظام الأساسي للشيعية»، يتمنى فيها زائر أبي عبد الله الحسين عليه السلام في فقرتين أن يُقدّر له يوما ما أن يكون من السائرين مع المطالبين بالثائر لدم الإمام الحسين عليه السلام. ففي هذه الفقرة:

«وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمُحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِي مَعَ إِمَامٍ هَدَى ظَاهِرٍ نَاطِقٍ بِالْحَقِّ مِنْكُمْ.»^٧

وفي فقرة أخرى:

«فَاسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَ مَقَامَكَ وَ أَكْرَمَنِي بِكَ أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مُنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ»^٨

ولا ريب أنه بعد عام ٦١ للهجرة، حيث استشهد الإمام وأنصاره، لم تتح الفرصة إطلاقاً للمطالبين الرئيسيين والحقيقيين من أبنائه وذريته بالثائر لدمه، وبقي الدم على الأرض على أن يتم الثأر لدمه أثناء ظهور الطالب بدمه الإمام المهدي عليه السلام ابنه وحفيده، ليتحقق هذا الأمر ويتم إتمام العمل غير المكتمل وإحياء وإزالة الظلم إلى الأبد من على وجه الأرض. وتفسيراً للآية الكريمة:

«وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا»^٩

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«ذلك قائم آل محمد يخرج فيقتل بدم الحسين عليه السلام فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً و قوله فلا يُسرف في القتل.»^{١٠}

حدثت تحت راية كتب عليها شعار «يا لثارات الحسين»، وهو ما يعكس الأمنية الكامنة في قلوب أولئك الذين كانوا يتمنون أنهم كانوا من ضمن شهداء أنصار الإمام والظفر بالفوز الذي ناله شهداء صحراء «كربلاء» في مرافقة ومصاحبة الإمام. وعلى الرغم من أن دفتر نخضة أبي عبد الله الحسين عليه السلام قد أغلق في بعد ظهر عاشوراء مع استشهاد الإمام وأنصاره؛ بيد أن باب الجهاد في سبيل الله ومرافقة ومواكبة إمام العصر والزمان عليه السلام بقي مفتوحاً للثائر. ولم ينتزع الله تعالى، الفرصة من المؤمنين والمتشوقين للمواكبة والتمتع بالفوز العظيم الذين ناله من ناصر أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

إن مناصرة الثائر لدم الإمام عليه السلام، هو ذلك الفوز الذي إن كان يتحقق لكان يناله المجاهدون والشهداء الذين واكبوا شهداء «صحراء كربلاء».

«يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً»^١

إن الأمنية القلبية وطلب مجمل الذين يزورون ضريح أبي عبد الله الحسين عليه السلام من منطلق المعرفة هو: «السلام عليك يا ابن رسول الله السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين... السلام عليك يا أبا عبد الله... فيا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَكُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً»^٢

وغداة عاشوراء، تصاعد البكاء والتّحيب من قلوب جميع الذين لم يوفقوا في مسابقة ومرافقة الإمام الحسين عليه السلام. وكان التوابون أول مجموعة انطلقوا من الكوفة وأطلقوا شعار «يا لثارات الحسين» للتعويض عما فات، ودخلوا في مواجهة مع جيش الشام. ومن هؤلاء كان المختار الثقفي الذي رفع راية الثأر من قتلة الحسين عليه السلام، وانخرط في القتال وقضى نحبه في هذا الطريق. وإضافة إليه، أطلق أبو مسلم الخراساني شعار «يا لثارات الحسين» وخاض حرباً مع الأمويين. والطريف أن مجمل هذه النهضة

الهوامش:

١. سورة النساء، الآية ٧٣.
٢. القممي، عباس، «مفاتيح الجنان»، الزيارة الخامسة للإمام الحسين عليه السلام كما يرويها الإمام الصادق عليه السلام.
٣. ابن بابويه الصدوق، محمد، «علل الشرائع»، ج ١، ص ٦٠.
٤. الزيدي الحائري، علي، «إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب ﷺ»، بيروت، مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ. ق.، ج ٢، ص ٢٤٤.
٥. ابن المشهدي، محمد بن جعفر، «المزار الكبير»، قم، مكتب الإصدارات الإسلامية التابع لإمارة مدرّسي الحوزة العلمية بقم، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ. ق.، ص ١٠٧.
٦. ابن بابويه الصدوق، محمد بن علي، «عيون أخبار الرضا عليه السلام»، ج ١، ص ٢٩٩.
٧. فقرة من «زيارة عاشوراء».
٨. المصدر السابق.
٩. سورة الإسراء، الآية ٣٣.
١٠. ابن قولويه، جعفر بن محمد، «كامل الزيارات»، النجف الأشرف، دار المرتضوية، الطبعة الأولى، ١٣٥٦ هـ. ش.، ص ٦٣.

المصدر: شفيعي سروستاني، إسماعيل، «السير الاستكمالي للإنسان مع الإنسان الكامل»، طهران، موعود العصر، الطبعة الأولى، ٢٠٢٤ م.

تسميتهم بأسماء إلهية علوا وفضلية بين جميع الكائنات في العالم وبناءً على ذلك، من خلال معرفة الله وصفاته، يمكننا أيضاً التعرف على صفات الأئمة وخصائصهم. ولعل وراء السبب في ما امرنا به في قراءة هذا الدعاء في الغيبة بعد الصلاة هو إشارة إلى هذه الحقيقة:

«اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي نَفْسَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ، لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي رَسُولَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ، لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرِّفْنِي حُجَّتَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ، ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي.»^٥

لسنا منتظرين حتى نعرف الإمام المنتظر

الشرط الأول للانتظار هو المعرفة. حين لا يعرف الإنسان ضيفه ولا يدرك صفاته الحسنة، فلن ينتظره كلنا ننتظر فقط شخصاً نعرفه جيداً، ولكن إذا كنا لا نعرف شخصاً حق المعرفة ونعرف أن هذا الشخص سيأتي، فلن نتم بمقدمه ولن ننتظره. وينطبق الشيء نفسه على انتظار الإمام المهدي عليه السلام والذين لا يعرفون هذا الامام العظيم، مثل الكفار أو أهل الديانات الأخرى، لن ينتظروه أبداً، ولكن من يعرفه، ويعرف قيمته، ويعرف مكانته، ينتظره.

هناك نوعان من المعرفة الخاصة بالإمام المهدي. النوع الأول هو الاعتراف التاريخي بوجود هذا الإمام، مثل حقيقة أنه هو الإمام الثاني عشر، وفي أي سنة ولد، ونحو ذلك. ولكن هناك طريقة أخرى لمعرفة إمام الزمان عليه السلام وهي معرفة مكانته النورانية، وهي معرفة لا يمتلكها أي شخص وتتطلب قدرة كبيرة وجدارة لكسبها. في الواقع أن الانصار الخاصين لإمام الزمان عليه السلام هم الذين أدركوا أن الإمام هو مقام النور، ومعرفة مكانة الإمامة العظيمة، يوصى بقراءة زيارة الجامع الكبير والتفكير في معانيه العميقة. كما أن قراءة الكتب الأصلية المكتوبة عن الإمام الزمان عليه السلام يمكن أن تجعل الناس على دراية بمكانة الإمام الزمان عليه السلام وعظمته.

الهوامش:

١. «بحار الانوار»، ج ٣٢، ص ٣٣١.
٢. «الحياة»، ج ١، صص ٣ و ٨.
٣. المصدر السابق، ج ٩.
٤. المصدر السابق، ص ٤٩، ج ١٨.
٥. «مفاتيح الجنان»، دعاء في غيبة الامام الزمان عليه السلام.

أهمية معرفة الإمام المهدي عليه السلام

إن معرفة الوجود المقدس لإمام الزمان عليه السلام أمر مهم ومفيد للغاية، لأن المعرفة الصحيحة للإمام واجبة على كل شخص وقد تحتم على الجهال بمعرفته بموت ميتة جاهلية. كما قال الرسول الكريم ﷺ: «من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.»^١ من ناحية أخرى، فإن معرفة موعود الأنبياء ومصلح العالم ومعرفة حياته لها دور مهم وحاسم في حياة الناس وفي تنظيم حركتهم. لهذه المعرفة جانبان، الأول هو معرفة شخص الامام، من هو وكيف تبدو حياته؟ ثانياً: معرفة شخصيته، ما هي مكانة ذلك الإمام في نظام الوجود، وما هي نتائج هذه المكانة وما هي واجباتنا تجاه الإمام؟

ما المقصود بالمعرفة الحقيقية للإمام الزمان؟

المعرفة الحقيقية لها الخصائص التالية:
أولاً، يجب الحصول عليها من مصادر موثوقة ومعتبرة.
ثانياً، يجب أن يشمل نطاقها التعاليم الدينية والأخلاقية والعبادية.
ثالثاً، بما أن الإمام نموذج عملي للناس، فعلى هذه المعرفة ان تراعي الأبعاد الفكرية والعملية والروحية للإمام.
اما الطريقة المتبعة للحصول على هذه المعرفة فتكمن من خلال ثلاث طرق - مكملة لبعضها البعض:
أولاً. دراسة تاريخ حياتهم، ودراسة ماضيهم، وخاصة الماضي المترتب حول فضائلهم ومناقبتهم وخصائصهم - مثل: الشجاعة، والرجولة، والتضحية بالنفس، والتواضع، والصبر، والحكمة، وما إلى ذلك، مما سيولد انجذاب خاص تجاه هؤلاء العظماء في الروح البشرية.
ثانياً. من خلال الدراسة والتفكير في احاديثهم، حيث يعتبر الإسلام التفكير اساس لجلب البصيرة ومن ضمن الكتب التي تتحدث عن احاديثهم:^٢ الدعوة إلى الأعمال الصالحة،^٣ خالق النور.^٤

ان دراسة أعمال الأئمة الفكرية والتفكير فيها وإن كانت تبدو مهمة صعبة إلا أنها مفيدة للغاية. بالإضافة إلى حقيقة أنه هذه المعرفة تساعد على التعرف على شخصية هؤلاء العظماء وخلق حبهم في القلب، فإنها تعتبر رصيلاً كبيراً للروح البشرية. مثلما يجب أن تقتزن فصول الكتاب ببحث كامل ودقة والإشارة الى المصادر والخ... يجب أن تكون الدراسة والتفكير في أعمال الأئمة عليهم السلام مصحوبة باستخدام ما جاء به أساتذة الفن في الإشارة إلى وصف احاديثهم في الكتب التي كتبت في هذا المجال.

ثالثاً . معرفة الله: إذا كنا نعرف الله وصفاته وأسمائه حق المعرفة، فيمكننا أيضاً معرفة الإنسان الكامل الحقيقي اي (الأئمة)، لأنهم المرآة الكاملة لصفات جمال رب الحق جل جلاله، وفي

من هو المنتظر الحقيقي للإمام المنتظر عليه السلام

د.مسعود دريس



ما هي الوظيفة الرئيسية لمنتظري الظهور؟

من المؤكد أن الأشخاص الذين تشرفوا بان يكونوا في زمرة المنتظرين الحقيقيين لظهور الإمام المهدي عليه السلام عليهم واجبات يجب القيام بها خلال فترة الانتظار. انتظار ظهور حضرة صاحب الزمان عليه السلام نوعان، اولهما انتظار عقائدي وشعائري، والآخر انتظار عملي اي تمهيد الطريق لظهوره. لكن المهمة الأساسية لمن ينتظرون الظهور هو الانتظار العملي وإرساء الأساس لحكم العدالة العالمية في ظهور المهدي عليه السلام.

روي عن علي بن محمد عن محمد بن علي بن إبراهيم، عن عبد الله بن صالح قال: تشرفت بمشاهدة قائم ال محمد عليه السلام عند الحجر الأسود منبهراً بانجذاب الناس بنور وجوده رغم جهلهم بمعرفته.

في اللغة «المنتظر» يعني شخصاً ينتظر شيء او احد أو مستعداً لدخول ومجيء شخص ما. وهذه الحالة يمكن مقارنته بمن راكع على ركبتيه وينتظر إمام المصلين ليقف وينتقل إلى الركعة التالية، أي نصف قائم ومستعد تماماً للوقوف مع إمام المصلين. في الواقع، يجب أن يتحلى المنتظر الحقيقي بهذه المواقف وينتظر الإمام الغائب عليه السلام كل لحظة. وقد ورد في عدة روايات أن المنتظر الحقيقي يجب أن يتبع الاداب والأصول حتى يكون في زمرة المنتظرين الحقيقيين للإمام المهدي عليه السلام. وعليه فإن المنتظر الحقيقي هو من يستمع لأمر إمامه ويفعل ما يقوله ويأمره، وخلال فترة الانتظار يمارس جميع الأعمال المطلوبة في سلوكه وكلامه وأفعاله مهما كانت اعماله بسيطة او كبيرة وعليه ان يشرف ويراقب نفسه وأن يكون مطيعاً تماماً لإمامه في أي موقف.

الإستغاثة بالإمام عجل الله فرجه الشريف والتوجه إليه و عرض الحاجة عليه

محمدتقي الموسوي الاصفهاني



فإنه الغوث، كما في الزيارة المروية عنه^١ و غياث لمن استغاث به، كما في قضية أبي الوفاء المذكورة في البحار وغيره^٢ و هو الكهف الحصين، و غياث المضطر المستكين، و ملجأ الهارين، و منجي الخائفين و عصمة المعتصمين، كما ورد في حقه و في حق آبائه الطاهرين في الدعاء المروي عن زين العابدين، في أيام شهر شعبان المعظم^٣.

و في «الزيارة الجامعة»: «فاز من تمسك بكم، و أمن من لجأ إليكم»^٤ إلى غير ذلك من الشواهد الكثيرة للمطلوب، بل يمكن أن يقال: إن وظيفة الرعية، كما نشاهده في أحوال الناس عاكة، الرجوع في مهماتهم و دفع أعدائهم إلى رئيسهم، في كل زمان، كما كان ذلك عادة أهل الولاية و العرفان في جميع الأحيان، حيث كانوا يبثون شكواهم و

يرفعون حوائجهم إلى أئمتهم عجل الله فرجه كما هو واضح للمتتبع في أخبارهم و العارف بآثارهم.

بل يمكن أن يقال: إن من جملة فوائد وجود الإمام و وظائفه و عاداته و مناصبه على ما يظهر من الروايات إعانة الملهوفين، و إغاثة المستغيثين، بل لا ريب في أن أحدا من الناس إذا كان من رعية رئيس قادر مطاع و بغي عليه دلّه أحبته إلى التظلم لدى ذلك الرئيس، و لو ترك، ذمه العقلاء بتركه عرض حاجته عليه.

و من هنا يمكن أن يقال: لو تركنا الإقبال على صاحبنا و مولانا عليه السلام في مهماتنا و حوائجنا، لم نأمن من الخذلان، لأننا تركنا وظيفتنا التي أمرنا الله تعالى بها كما يظهر ممّا ورد في قوله تعالى: «فانتشروا في الأرض و ابتغوا من فضل الله»^٥ المفسر في

حديث جابر بالأوصياء عجل الله فرجه^٦.

فوظيفة كل أحد أن يلتجئ في اموره إلا إلى إمام زمانه، و إن ترك ذلك و أصابه ما أصابه كان من الملمومين الخاسرين، المخاطبين بقوله تعالى:

«أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا»^٧

و أمرنا أيضا بأن نأتي البيوت من أبوابها و جعل الإمام و الحجة في كل زمانه بابه الذي يؤتى منه، و أمرنا بالتضرع إليه بوسيلته، فإذا عرفت ذلك، فنقول: لا فرق بين حضور الإمام و غيبته، فإنه صاحب المرأى و المسمع، كما في زيارته المأثورة عنه، و لا يخفى على الإمام شيء من أحوال الأنام، كما هو المصرح به في الروايات المستفيضة، بل المتواترة معني، بل هو من القطعيات عندنا، و ليست الجدران و الجبال و الستور حائلة بينه و بين أحد من الخلق، كما ورد في الأخبار.

و يشهد لذلك مضافا إلى ما رواه السيد الأجل علي بن طاووس في كشف المحجة، نقلا عن كتاب الرسائل للشيخ الأقدم محمد بن يعقوب الكليني عمن سماء، قال:

كتب إلى أبي الحسن عجل الله فرجه:

أن الرجل يحب أن يفضي إلى إمامه ما يحب أن يفضي إلى ربه، فكتب عجل الله فرجه: «إن كانت لك حاجة فحرك شفيتك، فإن الجواب يأتيك»^٨.

يقول مصنف هذا الكتاب محمد تقي الموسوي الإصفهاني - ثبتته الله تعالى بالقول الثابت في الحياة الدنيا و في الآخرة: قد كثرت علي الديون، و ضاقت بي الأحوال في بعض من السنين الماضية، فدخل شهر رمضان، فتوجهت إليه، و عرضت حاجتي عليه صلوات الله و سلامه عليه في وقت السحر من بعض الليالي، فلما صليت الفجر في المسجد، و رجعت إلى منزلي نمت، فتشرفت بلقائه عليه السلام في المنام، فقال لي بالفارسية: «قدرى بايد صبر كنى، تا از مال خاص دوستان خاص خود بگيريم و بتو برسانيم»^٩.

فانتبهت من رقدتي، فوجدت الهواء طيبة، و قد زال عني الهم و الكرب، فما مضت إلا أشهر قليلة إذ جاءني بعض المتدتين بوجوه قد أدت بها ديوني، و قال لي: هذا من سهم الإمام عجل الله فرجه، و الحمد لله رب العالمين ولي الأنعام.

إعلموا أن الإستغاثة به و عرض الحاجة عليه ليست مقيدة بلسان خاص، و كيفية خاصة، و وقت مخصوص، بل المهم في ذلك إصلاح القلب، و التوجه التام، و التوبة عن الآثام، و اليقين الثابت، و الاعتقاد الراسخ، و لكن قد ورد للإستغاثة و عرض الحاجة كيفيات و دعوات و رقعات ينبغي استعمالها، منضمة إلى ما تبيننا عليه، ليكون أبلغ في التقرب إليه، و أكد في التحبب لديه.

الهوامش:

١. «البحار»، ج ١٠٢، ص ٩٣.
٢. «الدعوات»، ص ١٩١، ح ٥٣٠؛ «البحار»، ج ٩٤، ص ٣٦، ح ٢٢.
٣. «الإقبال»، ج ٣، ص ٣٠٠.
٤. «البحار» ج ١٠٢، ص ١٣٠.
٥. سورة الجمعة، الآية ١٠.
٦. «الإختصاص»، ص ١٢٤.
٧. سورة النساء، الآية ٩٧.
٨. «كشف المحجة»، ص ١٥٣.
٩. عليك أن تصبر قليلا، حتى تأخذ من أموال أصدقائنا الخاصين الخاصة بهم ونوصلها إليك.

المصدر: الاصفهاني، محمد تقي، «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عجل الله فرجه»، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ج ٢، صص ٣٠٩-٣١١.

الإيمان بالله تعالى

أول عقيدة آمنت بها ماري عن وعي ووفق ما فرضت عليها الأدلة والبراهين هي عقيدة التوحيد، فأمنت بالله تعالى، وآمنت بوحدايته ولزوم عبوديته، وآمنت أنه سميع بصير، وعليم بذات الصدور، فطلبت منه المساعدة، وتضرعت إليه، والتجأت نحوه بخشوع وخضوع، وطلبت منه أن ينجيها من الظلام المحيط بها، ويأخذ بيدها نحو النور، فاستجاب الله تعالى دعائها، وهياً لها ظروف التعرّف على رجل دين مؤمن ومتقي و ورع اختصر لها طريق البحث، وساعدها في معرفة الحقيقة، وعرفها برسول الله وأهل بيته (عليهم السلام)، وأعطاهما جملة من الكتب الدينية ولا سيما كتب أحاديث أهل البيت (عليهم السلام).

وبعد فترة قصيرة، أعلنت ماري استبصارها، والتزمت بشكل كامل بالفرائض الدينية، وارتدت الحجاب، وبدأت تراعي سلوكها وتصرفاتها، وتراقب نفسها لئلا يصدر منها ما يسخط الله تعالى، وبدأت تحاول دائماً القيام بالأعمال العبادية المرضية لله تعالى. ولم تبال ماري بالاعتراضات التي صدرت من أقربائها وصديقاتها، بل حاولت أن تواجه هذه الاعتراضات بمهوء، وسعت أن تبين للآخرين الأسباب التي دفعتها لتغيير معتقداتها وأنكارها والانتماء إلى الدين الإسلامي الخنيف.

المصدر: «موسوعة من حياة المستبصرين»، مركز الأبحاث العقائدية.

ماري كروفر
(مريم آقا باب)

صديقاتها حول النتائج العلمية التي توصّلت إليها تواجه استغراباً منهن واستهزاءً بها إزاء اهتمامها بالأمر العلمي. كانت الأجواء المحيطة بـ ماري تفرض عليها اللهو واللعب والاهتمام بالأمر الديني والحديث عن زينتها وزخرفها، ولكن ماري كانت تعيش في عالم آخر لا يتفاعل معه من كان حولها. وهذا ما دفع ماري أن تشعر بالغيرة وهي في بداية طريق بحثها وتحقيقها العلمي.

الاستقامة في طلب العلم

عرفت ماري بأنّ كلّ إنسان يحصد ما زرع، وكلّ إنسان مكلف بأعماله، والذين يتجهون نحو السبل الخاطئة فإنهم لا يضرّون إلا أنفسهم، والذين يبذلون الجهد في سبيل معرفة الحق والحقيقة، فإنهم أيضاً سينالون ثوابهم.

ومن هنا قرّرت ماري تحمّل كلّ المتاعب والمشقّات في طريق البحث، وواصلت بحثها، فتحوّلت إلى إنسان هي مع الناس ولكن ليست من الناس، تعيش معهم بجسدها، ولكن روحها وذهنها وفكرها في مكان آخر يبحث عن الحقيقة.

ولدت ماري في «بريطانيا»، ونشأت في أوساط أسرة مسيحية، حصلت على شهادة الماجستير، ثمّ اهتمت بتشديد معتقداتها وأفكارها وفق الأسس الصحية، وقررت التعمّق في معرفة هدف وجودها في هذه الحياة.

بلوغ مرحلة النضج العقلي

دققت ماري في خزين معتقداتها وأسباب انتمائها إليها، فوجدت أنّها موروثّة من الأجواء المحيطة بها، ولا قيمة لها من الناحية العلمية، ولا بدّ من إجراء دراسات علمية شاملة وعامة توصلها إلى مرحلة اليقين في بلورتها لرؤيتها الكونية ورأت ماري بأنّ الضرورة العقلية تحتم عليها الاتجاه نحو البحث وطلب العلم؛ لأنّ الإنسان العالم يكون أقدر من غيره على طلب الخير ووقاية نفسه من الشر.

موانع في طريق البحث

من أكبر المشاكل التي واجهتها ماري في البحث عدم تفاعل من حولها معها في طريق البحث، فكانت عندما تتحدّث مع

صلة الرحم

قال الله تعالى:

«الَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»^١

وقال:

«وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»^٢

قال النبي ﷺ:

«إلا ادلكم على خير أخلاق الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك و تعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك.»^٣

عن أبي جعفر (عليه السلام):

«إن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم، وإن القوم ليكونون فجارا فيتواصلون فتنمى أموالهم، ويبرون فتزاد أعمارهم، وإن اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم لتنذران الديار بلاقع من أهلها ويثقلان الرحم، وإن تثقل

الرحم انقطاع النسل.»^٤

قال رسول الله ﷺ:

«أوصى الشاهد من امتي والغائب منهم و من فى اصلااب الرجال و ارحام النساء الى يوم القيامة ان يصل الرحم و ان كانت منه على مسيرة سنة، فان ذلك من الدين.»^٥

الهوامش:

١. سورة البقرة، الآية ٢٧.

٢. سورة الرعد، الآية ٢٥.

٣. «تحف العقول»، ص ٤٥.

٤. «بحار الأنوار»، العلامة المجلسي، ج ١٠٤، ص ٢٠٨.

٥. «أصول كافي»، ج ٢، ص ١٥١.

المصدر: «مفاتيح الحياة»، العلامة جوادى آملی، صص ٢١٠-٢١١.

آداب النظر إلى المرأة

تقول: «الحمد لله الذي أحسن و أكمل خلقي و حسن خلقي، و خلقي خلقاً سوياً، و لم يجعلني جباراً شقيّاً، الحمد لله الذي زين مني ما شان من غيري، اللهم كما أحسنت خلقي فصل على محمد و آل محمد و حسن خلقي، و تمم نعمتك عليّ و زينني في عيون خلقك و جمّلي في عيون برّيتك، و ارزقني القبول و المهابة و الرأفة و الرحمة يا أرحم الراحمين.»

الهوامش:

١. «الوسائل»، ج ٣، ص ٣٤٤، باب ٤، من أبواب أحكام الملابس،

ح ٢.

٢. «مكارم الأخلاق»، ص ٦٩.

٣. المصدر السابق.

المصدر: العلامة المجلسي، «حلية المتقين في آداب و السنن و الاخلاق».

ورد في كتاب مكارم الأخلاق عن النبي ﷺ أنه كان ينظر في المرأة و يرجل جمته و يمتشط، و ربما نظر في الماء و سوى جمته فيه، و لقد كان يتجمل لأصحابه فضلاً على تجمل لهله، و قال: «إن الله يحب من عبده إذا خرج إلى إخوانه أن يتهيأ لهم و يتجمل.»^١

في كتاب مكارم الأخلاق عن كتاب النجاة: من أراد النظر في المرأة فليأخذها بيده اليسرى، و ليقبل «بسم الله» و يضع يده اليمنى على أم رأسه، و يمسح بها وجهه، و يقبض على لحيته، و ينظر في المرأة و يقول: «الحمد لله الذي خلقي بشراً سوياً و زاني و لم يشني، و فضّلني على كثير من خلقه، و من عليّ بالإسلام و رضيه لي ديناً.»

فإذا وضع المرأة من يديه فليقل: «اللهم لا تغير ما بنا من نعمتك، و اجعلنا لأنعمك من الشاكرين.»^٢

قال النبي ﷺ في وصيته لعلي (عليه السلام)، إذا نظرت في المرأة فقل: «اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي و رزقي.»^٣

و في رواية أخرى أنه تأخذ المرأة باليد اليسرى، و تنظر فيها و

حق الجلوس

إنّ للجلوس آداباً وأحكاماً، وللجلوس حقوقاً وعليه التزامات. ولما كان الإنسان يتأثر بجلوسه سلباً أو إيجاباً، ويكتسب من أخلاقه، ويكون وسطاً ناقلاً لآراءه، إهتم الإسلام بموضوع الجلوس، فقد روي عن الإمام علي (عليه السلام) انه كان يقول:

«جلوس الخير نعمة، وجلوس الشر نقمة.»^١

وعلى العموم توصي مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) بمجالسة العلماء، ومزاحمتهم بالركب، ومجالسة العلماء لكي يزداد الإنسان حلماً، ومجالسة الأبرار الذين إذا فعلت خيراً حمدوك، وإن أخطأت لم يعتفوك، وكذلك مجالسة الحكماء؛ لما فيها من حياة للعقول، وشفاء للنفوس. وأيضاً مجالسة الفقراء؛ لكي يزداد الإنسان شكراً. كما نجد نخباً عن مجالسة الأغنياء الذين أطغاهم الغنى فأصبحوا أمواتاً وهم أحياء، ونخباً عن مجالسة الجهلاء، وأهل البدع والأهواء، وضرورة الفرار منهم كما يُفر من المجنوم.

ومن الطبيعي أن للجلوس الصالح حقوقاً، يغلب عليها الطابع المعنوي، وهي عبارة عن آداب العشرة الحسنة معه، أدرجها الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالة الحقوق وهي:

«وحقّ جلّيسك أن تلين له جانبك، وتتصفه في مجارة اللفظ، ولا تقوم من مجلسك إلا بإذنه، ومن تجلس إليه يجوز له القيام عنك بغير اذنك، وتنس زلّاته، وتحفظ خيراته، ولا تسمعه إلا خيراً.»^٢

الهوامش:

١. «ميزان الحكمة»، ج ٢، ص ٦٠.

٢. «شرح رسالة الحقوق»، السيد حسن القبانجي، ج ٢، ص ١٥١.

المصدر: ذهبيات، عباس، «الحقوق الاجتماعية في الإسلام»، مركز الرسالة، ١٤١٧هـ.

عقّ الوالدين

لا يتخيل أن العقوق الذي هو تعرض الى عقاب الله وعذابه يكون من جهة الوالدين فحسب، وانما هو من الجهتين، يعني أنه كما يعق الوالدان ولدهما، كذلك الوالد يعق والديه اذا ظلماه وهو برّ بمهما، فان الله تبارك وتعالى عدل محض، فلم يجعل حقا لاحد على احد الا وجعل مثله للطرف الآخر، واليك الحديث المتضمن هذا المعنى.

١. عن علي بن ابراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن ابيه، عن آبائه، عن علي (عليه السلام) قال:

«قال رسول الله ﷺ: «يلزم الوالدين من العقوق لولدهما، اذا كان الولد صالحاً ما يلزم لهما.»^{١١}

الهوامش:

١. سورة اسراء، الآية ٨٨
٢. «ذرايع البيان»، ص ١٩٨، تكمله.
٣. نفس المصدر، ص ٢٠٠.
٤. نفس المصدر، ص ١٩٩، تكمله.
٥. «معدن الجواهر»، ص ٣١، باب ذكر ما جاء في ثلاثة.
٦. «درر الكلم»، حرف الميم، ص ٢٣٩.
٧. «ذرايع البيان»، ص ١٩٨، تكمله.
٨. نفس المصدر، ص ١٩٩.
٩. نفس المصدر، ص ١٩٩.
١٠. نفس المصدر، ص ١٩٩.
١١. «الخصال»، باب الاثنين، ص ٤٥، ح ٧٧.

المصدر: السيد علي بن الحسين العلوي، «الخالد في الولد والوالد»، منشورات دار الذخائر.

برّ الوالدين
القسم الثاني

معنى العاق والعقوق

لكل أمة لغة، ولكل لغة الفاظ، وقد وضعت الالفاظ بأتقان، اما الالفاظ العربي، ولغتها فهي معجزة اللغات والالفاظ، وقد اعجزت ارباب الفن باتقانها وتنسيقها، لاسيما «القرآن الكريم»، كلام الله المجيد، معجزة الدهر الذي تعدد منه التحدي بالنسبة الى جميع اهل اللسان، فهو القائل: «قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا»^١... أما لفظ العقوق ومعناه: فقد جاء في المجمع، في مادة عقق: أدني العقوق أف ، عق الولد اباه، يعق، عقوقا، من باب عقد: اذا آذاه وعصاه، وترك الاحسان اليه وهو البر له. واصله من العق: وهو الشق والقطع.

١. وهو من المعاصي الكبيرة مما أوعد الله عليه، والاخبار به مصرحة بأن العاق لا يدخل الجنة، وحاله حال مدمن الخمر، والمنان لفعل الخير...^٢

٢. عن الجعفریات قال رسول الله ﷺ: «من احزن والديه فقد عَقَّهما»^٣

٣. عن النبي ﷺ: أنه قال:

«ثلاثة لا يجيئون عن النار: العاق لوالديه و المدمن من الخمر والمنان بعطائه.» قيل: يا رسول الله ﷺ، وما عقوق الوالدين؟ قال ﷺ:

«يأمران فلا يطيعهما. ويسألانه فيحرماهما. واذا هما لم يعظهما بحق ما يلزمهما.»^٤

عاق الوالدين

ان موجبات عقاب الله تعالى لعبده كثيرة وهو اشدّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة ومن موارد عقابه الأليم عدم اطاعة الوالدين وأذاهم وعقوقهم وما يشينهم ، فاتق النار ايها الولد البار.

١. قال سيدنا رسول الله ﷺ:

«ثلاثة لا يدخلون الجنة: منهم: العاق»^٥

٢. قال امير المؤمنين (عليه السلام): «من ظلم يتيما عَقَّ اولاده.»^٦

٣. عن مولانا الصادق (عليه السلام):

«لا يدخل الجنة العاق لوالديه، والمدمن من الخمر، والمنان بالفعال الخير اذا عمله.»^٧

٤. عن شيخنا المفيد باسناده عن أبي اسحق الهمداني، عن أبيه، عن سيّد الموحدين أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثة من الذنوب تعجل عقوبتها ولا تأخر الى الآخرة: عقوق الوالدين والبغي على الناس وكفر الاحسان.»^٨

٥. وفي رواية الكراجي: ملعون ملعون من ضرب والديه، ملعون من عَقَّ والديه، ملعون من قاطع رحمة...^٩

٦. عن مولانا الباقر (عليه السلام):

«اياكم والعقوق فان الجنة يوجد ربحها من مسيرة مائه سنة، وما يجدها عاق ولا قاطع رحم.»^{١٠}





حينما بدأت الفتوحات في اعقاب وفاة النبي ﷺ، تركّزت مساعي الحكام آنذاك على السيطرة على اكبر مساحة ممكنة من الارض، و توسيع رقعة الدولة الاسلامية. ورغم الجهود التي بذلها المسلمون آنذاك في سبيل مواجهة الكفر و الشرك، ألا أنهم- و لاسباب عديدة- لم يتمكنوا و للأسف من التخلص من منحدر الانحرافات الدينية التي كانت شائعة آنذاك عن جهل أو عن قصد أحيانا. و لقد كانت هذه الانحرافات تتسع يوما بعد آخر، و تمجر سنة رسول الله ﷺ الى جانب كتاب الله، و يحل محلّها الرأي و البدعة التي اصطلح عليها بالبدعة الحسنة! و لقد بدأ اهتمام الناس يتضاءل بهذه المسألة من اجل الحصول على الغنائم و الوصول الى حالة الرفاه، و بدأت اصوات المعارضة ترتفع فقط، حينما شعروا ان الغنائم الحربية الهائلة توزّع على عائلة خليفة المسلمين عثمان في غيابهم! و كان من بين الناس اشخاص و اعوان أيضا. و قد بدءوا بالتمرد للتخلص من الظلم و الاستبداد الذي لحقهم من ولاة الخليفة في الولايات و الامصار المختلفة. و قد انضم اصحاب علي عليه السلام الى هذه الحركة أيضا من اجل تحقيق

اهدافهم المتمثلة بتطبيق الاسلام الحقيقي. و لمّا جلس امير المؤمنين عليه السلام على كرسي الامامة و الخلافة، تركّز جلّ اهتمامه على اصلاح الفساد الداخلي. و لو صرفنا النظر عن الاصلاحات السياسية التي نتجت عنها الصراعات المشهورة في عهد الامام عليه السلام فإنّه عليه السلام قد بدأ جهودا حثيثة أيضا في مجال الاصلاحات الدينية. و لقد كان من ابرز الانحرافات الدينية هو زوال الرؤية الدينية، و اضمحلال مشاعر التدين بين عامة الناس، الامر الذي ادى بهم الى السعي لا من أجل تحقيق اهداف الدين المبين، بل لاجل الحصول على اكبر حصّة ممكنة من بيت المال، و تنظيم شكل و ماهية حياتهم ضمن هذا السياق أيضا. و لقد صعد الامام من ويرة خطبه العميقة الجامعة من اجل ازالة الدوافع غير الدينية و قد ركّز في كلامه و خطبه البليغة المثيرة التي كان يلقيها في صلاة الجمعة او الموارد الاخرى على التقوى، و بحث الناس على ضرورة عدم الانغماس في الدنيا، و يجدر طلاب الدنيا و يقرّعهم. و لو ان احدا اراد تدوين ثقافة التقوى لوجد

أغنى مفاهيمها و كلماتها في رحاب «نَجح البلاغة». صحيح ان النصيحة و الدعوة الى التقوى هي من المستلزمات المعروفة لكل خطبة و هي امر عادي أيضا، الا أن كل هذا التأكيد من قبل الامام عليها، و كل هذه الايضاحات التي اوردها بشأنها، انما يدل على أنه كان يهدف بطرحها الى اصلاح مجتمع ملوّث بالدوافع غير الدينية، و لا يحمل شيئا من همّ الدين، بل همّ الاكبر اكتساب المال و جمع الغنائم و قبض اكبر سهم ممكن من بيت المال.

و بالاضافة الى التقوى، يشتمل نَجح البلاغة على قضايا كثيرة، و ذات اهمية بالغة لفهم الدين، و تبيان الكثير من جوانبه، و الخطب التي تتناول معرفة الله على درجة كبيرة من السعة، و ذات عمق عقلي و علمي، و هي جميلة و جمالها يشكل تلك الصورة الرائعة الجذابة لنهج البلاغة.

و قد سعى الامام عليه السلام في شتّى الجوانب الدينية لاهياء القرآن و سنة رسول الله ﷺ و لا جهاز السياسات الفكرية الخاصة التي أدّت الى ظهور البدع و اندثار السنن الالهية. فحينما قلّ التذاكر بالحديث امر الامام بتذكاره و نقله، و لما كان الآخرون بمنعون من تدوين الحديث لأسباب واهية، كان الامام ينادي من على المنبر: «من يشتري علما بدرهم»^١ فاشترى حارث الاعور رقعة و كتب عليها؛ قال الامام: «يا اهل الكوفة غلبكم نصف رجل»^٢ و كذلك كان الحسن بن علي يوصي ابنائه بكتابة الحديث حتى و ان مرّق الآخرون ما كانوا قد كتبوه.

و سنشير الى هذه القصة المأساوية في مكان آخر من الكتاب.^٣ و لهذه الأسباب أيضا تم تناقل الحديث الحقيقي لرسول الله ﷺ -الذي كان على لسان اهل البيت - بصورة مكتوبة، و بهذه الشاكلة بقيت احاديث الشيعة في مأمن من التحريف الذي طال احاديث اهل السنة. و حينما تغلغت ثقافة اهل الكتاب الى المجتمع الاسلامي في قالب الاسرائيليات و اتبع البعض اساليب خاصّة في نشرها و الترويج لها، ابرز الامام معارضته الصريحة و راح يحذّر الناس من اتباع ثقافة و تراث اهل الكتاب.^٤ كان الامام يشير الى هذه الانحرافات بصراحة، و يرى في المجتمع الذي عاصره تجربة عصر الجاهلية تتكرر فيه من جديد.

«ألا و ان بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيّه»^٥ و قال أيضا في موضع آخر: «اعلموا انكم بعد أن هاجرتم عدتم الى روحيتم البدوية، و بعد أن عقدتم اواصر الولاية بينكم اتبعتم سبيل الفرقة... ما تتعلقون من الاسلام ألا باسمه، و ما تعرفون من الاسلام الا رسمه... الا و قد قطعتم قيد الاسلام، و عطّمت حدوده و أمّتم أحكامه»^٦ و هذه العبارة تعكس رؤية الامام و نظرتة الى ذلك المجتمع، و تبرز العلل التي من اجلها سعى الامام الى احياء الدين، و التي تحدث

الامام نفسه عنها قائلا: «قد ركزت فيكم راية الايمان، و وقفتمكم على حدود الحلال و الحرام»^٧ و حينما كان ابو ذر تلميذ الرسول ﷺ و علي عليه السلام المخلص الذي ما اظلت السماء و لا اقلّت الخضراء اصدق لهجة منه، يريد وصف الامام بكلام كان يقول: «عليّ زرّ الدين»^٨ (اي قوامه).

و كان يقول للناس: «ستكون فتنة فإن ادركتموها فعليكم بكتاب الله و علي عليه السلام»^٩ و التلميذ الآخر لهذه المدرسة - الا و هو عمار بن ياسر - كان يتحدث عن النهج الذي سلكه علي عليه السلام. واصفا إيّاه بالعبارة الرائعة التالية: «لو لم يعمل عملا و لم يصنع شيئا ألا انه أحيا التكريتين عند السجود لكان قد اصاب بذلك فضلا عظيما»^{١٠} و هذه العبارة تشير الى ان اهم الاعمال في رأى علي عليه السلام و اصحابه هي احياء دين النبي ﷺ حتى ان عملا كالذي ذكره عمار صار يعدّ من اعظم الانجازات التي حققها الامام. و عند ما كان اصحاب الامام يريدون وصف علي بالشعر كان يقولون عنه:

اوضحت من ديننا ما كان مشتبها

جراك ربك عنا فيه احسانا^{١١}

و الحسن البصري رغم انه لم يكن يحمل نظرة ايجابية عن الامام، ألا انه لما اراد وصف الامام بجملة قال: أراهم السبيل و اقام لهم الدين اذا اعوج.^{١٢}

و هذا يظهر أن اهم الطروحات التي كان يرتقيها انما كانت تتمثل فيما يقوم به من أعمال في سبيل احياء الدين، و كان يرى واجبه يتجسد في ابلاغ كامل سنة النبي ﷺ، و لذلك فانه كان ينادي بأعلى صوته: «و الله ما أسمعكم الرسول شيئا ألا و ها انا ذا مسمعكموه»^{١٣}

و كان يرى نفسه منقّذا واعيا و مخلصا لسيرة الرسول ﷺ، و كان يقول عند رؤيته تمرّد بعض الناس: «لو غبت عنكم من يسير فيكم بهذه السيرة»^{١٤}

و لهذا السبب أيضا كان يؤكد على إيضاح سيرة الرسول ﷺ للناس في مختلف جوانب الحياة، و كان يطبق ذلك بين الناس باسم السنة.^{١٥}

و صلى ابو موسى خلف الامام علي عليه السلام بعد ٢٥ عاما من وفاة النبي ﷺ فقال: ذكرنا ابن ابي طالب صلاة النبي ﷺ. و من خلال امعان النظر في الشواهد السالفة يمكن ان ندرك جيّدا أن احد اكثر الاعمال اهمية لدى الامام طوال حياته و التي يمكن اعتبارها سياسة و تعاملات منطقيا مع مسائل الحياة هي حفظ اصول و فروع الدين و جعل كتاب الله و سنة رسوله ﷺ المحور الوحيد الذي تدور عليه مساعيه و مساعي عاقبة الناس.

الإمامة في ضوء آيات الهداية والملك

الهوامش:

١. الكتاب ٦١ من «نصح البلاغة».
٢. «تصنيف نصح البلاغة»، ص ٥٧١.
١. «التراتيب الادارية»، ج ٢ ص ٢٢.
٢. «تقييد العلم»، ص ٩٠؛ «ربيع الابرار»، ج ٣، ص ٢٢٦.
٣. نشرة «نور العلم»، الاعداد ٩، ١١، ١٢ من الدورة الثانية.
٤. «التراتيب الادارية»، ج ١، ص ٧٦.
١. «نصح البلاغة»، ص ٥٧.
٢. «شرح نصح البلاغة» لابن ابي الحديد، ج ١٣، ص ١٧٩.
٣. المصدر السابق، ج ١، ص ٣٧٣.
٤. «الفائق في غريب الحديث»، ج ٢، ص ١٠٨.
٥. «انساب الاشراف»، ج ١، ص ١١٨.
١. «انساب الاشراف»، ج ١، صص ١٧٩-١٨٠؛ «مصنف ابن ابي شيبه»، ج ١، ص ٢٤٠.
١. «كشف الغمة»، ص ٢٥.
٢. «مصنف ابن ابي شيبه»، ج ١٢، ص ٨٣.
٣. «نصح البلاغة»، ص ١٢٢.
٤. «المصنف» لعبد الرزاق، ج ١٠، ص ١٢٤.
٥. «نصح السعادة»، ج ٢، ص ١٠٠.
٦. البخاري، «التاريخ الكبير»، ج ٤، ص ٣٣.

المصدر: «الحياة الفكرية و السياسية لأئمة أهل البيت (عليه السلام)»، رسول جعفریان، دار الحق، ١٤١٤هـ

قيل قد قسمنا الآيات التي تتحدث عن الامامة إلى طوائف عدة نتناولها بالتفصيل و الطائفة الثانية كانت آيات الكتاب و قيل بالتفصيل حولها. حتى وصلنا الى آيات الهداية و أشرنا إلى الآية «... إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»^١ و الآن نقول آية الاخرى: ٢. «... أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى...»^٢

والآية مكية واردة في مقام الاحتجاج مع الكفار، و أن الالهة التي يعبدونها لا تستطيع شيئاً وان الهادي هو الله واسناد الهداية إليه لا يختص بالهداية الارائية بل يعم حتى الايصالية، ويكاد يجمع المفسرين ان (يهدي) في الاصل يهتدي ثم قلبت التاء دالا لاجل التخفيف، والمقابلة هنا بين من يهدي إلى الحق وهو عام ولم يخصص كما في قوله تعالى «قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ» أي من هو الاحق بالاتباع هل هو الذي يهدي إلى الحق ام من لا يهتدي إلى الحق إلا أن يهdy.

فالذي تكون هدايته من ذاته ومن نفسه هو الذي يكون هاديا، أما من لا تكون هدايته ذاتية وليست من نفسه فإنه لا يكون هاديا للحق فتوجد ملازمة بين الهداية الحقّة والهداية اللدنية، فيجب ان يكون الهادي مهتدياً لا بغيره وفي المقابل الذي يهتدي بغيره لا يكون هاديا للحق فتوجد ملازمة بين الاثنين أي ان المهتدي بنفسه هدايته ملكوتية باقدار الله عز وجل. والمهتدي

بالله لا يقال انه مهتدي بغيره من المخلوقين، إذ الاهتداء بهداية الله كما ورد في قل الله يهدي للحق هو عبر اتباع رسوله و الله هو الحق وهداية الرسول إلى الحق هي هداية إلى الله، ونتيجة لهذه الخصوصية في الهداية نقول ان المراد هو الهداية الايصالية و ذلك لان المهتدي بسبب غيره قادر على الهداية الارائية اما الايصالية فلا يستطيعها.

ثم أن للهداية درجات كما تشير إليه العديد من الآيات كقوله تعالى «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ»^٣ وقوله تعالى «وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ»^٤ وقوله تعالى «وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى»^٥ ما يدل على كون الهداية على درجات، وفي الاستعمال القرآني أيضا استعملت الهداية في مقابل الضلالة، والهداية بمعنى الصراط المستقيم في مقابل بقية السبل المتفرقة.

كما ان في قوله تعالى «وَأَنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى»^٦ دال على وجود درجة من الهداية دخيلة في أصل النجاة الاخروية وهذه الدرجة وراء مبدأ الايمان والعمل الصالح، و هذا المفاد كما يلاحظ مقارب لمفاد الطائفة الاولى في واقعة آدم (عليه السلام)، حيث تبين ان ابليس لم ينفعه إيمانه بالله تعالى واليوم الآخر، ولا عبادته بعد عدم توليه آدم عليه السلام وعدم خضوعه وانقياده إليه كخليفة لله تعالى، و هذا المفاد في آية سورة طه لمفاد آية الاكمال:

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ اَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»^٧

فالاسلام بما فيه من التوحيد والنبوة والمعاد والفروع من الصلاة وغيرها كملت بالذي نزل ذلك اليوم وتم به، ورضا الرب مشروط بما نزل في حجة الوداع عند رجوعه صلى الله عليه و آله في غدِير خم في قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنَّمَا تَفْعَلُ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»^٨ فوعده بالعصمة مما يحذره ﷺ من الناس و أن من يكفر بذلك الذي انزل فإن الله لا يهديه، فهذه الهداية هداية زائدة على ما ذكرنا تشتط في النجاة الاخروية وهي الهداية التي في هذه الطائفة.

آيات الملك

قوله تعالى «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا»^٩ والآية تتعرض للنبي الخاتم ﷺ بأن الآخرين يحسدونه على ما آتاه الله من فضله ثم يعدد ذلك الفضل بالكتاب والحكمة والملك العظيم، اما الكتاب والحكمة فمعناها واضح إجمالاً فالاول هو النبوة، والثاني هو العصمة كما تشير إليه كثير من الروايات فإن مقتضى الحكمة عدم الزلل.

أما الملك العظيم فيتضح معناه بالالتفات:

أولاً: ان آل ابراهيم لم يستلم أحد منهم السلطة والملك إلا سليمان و داود وهذا لا يتناسب مع مجيئه مورد صفة الجمع والمنة على كل آل ابراهيم.

وثانياً: هذا الملك العظيم لا بد أن يكون مغايراً للكتاب والحكمة ولا يكون غير الاقتدار والسلطنة، وهذا هو الحد الماهوي للملك. وثالثاً: إذا لاحظنا الآية السابقة عنها وهي «أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا» فما هو الملك الذي لو أوتوه بني اسرائيل لما اعطوا الناس منه شيئاً بالتأكيد ليس هو الملك الظاهري حيث ان المراد من النقيير هو المتخلف من الثمر في النواة و هذا نوع تشبيه و المراد منه باب الحاجة وبيان المباغضة والحسد الذي عند اليهود تجاه نبوة النبي ﷺ وهي في مقام النعم الغيبية الالهية التي حباها الله تعالى آل ابراهيم، فإذا كانت لديكم النبوة وما هو من قبيلها من المنح الإلهية فلا تؤتونها أحداً من الناس وتمنعون من وصول هذا الفضل الالهي لأحد، فلا بد من مجموع هذه القرائن أن يكون هذا الملك ولاية تكوينية.

و هذا يعني ان الملك هو الذي تنبثق عنه النبوة وهو أعظم مقام من النبوة بمعنى أن ولاية كل نبي أرفع شأنًا من نبوته- لا أن ولاية أي ولي أرفع من مطلق النبوة- و ذلك لأن الولاية تعبر عن أرقى مراحل الروح التي ترتقي فيها فترتبط بالفيض عن الذات الازلية،

او ترتبط بالذات ويعبر عنه بباطن النفس وهي تنقاد للرب وتعبد الرب منتهى الانقياد والعبادة بحيث تكون مشيئته مشيئة الله و ارادته ارادة الله.

فالولاية هي الجانب المملوكي اما الانباء والنبوة دون ذلك المقام و ذلك لانه بتوسط رقي روحه يفاض عليه المطالب العالية حيث أن علومها أوسع من التشريعية وتكون مصدرا لها، ويشير إلى ذلك قوله تعالى «وَ إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»^{١٠} حيث أن الابتلاء كان في كبر سنه بعد ما رزق الذرية، والابتلاء بتوسط ما أوحى إليه كما تشرحه بقية السور، فهو بعد النبوة والرسالة: كان التأهل لمقام الامامة.

ثم بالنظر إلى الآيات الاخرى نرى ان آل ابراهيم قد أوتوا الامامة وحبوا بما «وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا...» و «وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ»^{١١} فالحيوة التي حيا بها الله آل ابراهيم هي الامامة، و هل يوجد ملك اعظم من هذا! و هذا الملك العظيم هو الذي حباها الله لرسوله الاكرم وعترته الطاهرة.

يذكر العلامة الطباطبائي:

ان المراد من الملك هو السلطنة على الامور المادية والمعنوية فيشمل ملك النبوة والولاية والهداية وملك الرقاب والثروة و ذلك انه هو الظاهر من سياق الجمل السابقة واللاحقة فإن الآية السابقة تومئ إلى دعواهم انهم يملكون القضاء والحكم على المؤمنين وهو مسانخ للملك على الفضائل المعنوية.... ثم عندما يصل إلى الملك العظيم يقول «تقدم ان مقتضى السياق ان يكون المراد بالملك ما يعم الملك المعنوي الذي منه النبوة والولاية الحقيقية على هداية الناس وارشادهم ويؤيده ان الله سبحانه لا يستعظم الملك الدنيوي لو لم ينته إلى فضيلة معنوية ومنقبة دينية»^{١٢}

ونحن وإن نقلنا كلام العلامة بطوله إلا أننا لا نتفق معه على أن كلا من النبوة والامامة داخلتان في الملك العظيم لما ذكرناه من القرائن، ونضيف أن قوله تعالى«قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ...» يدل على أن القدرة هو علم الكتاب وهو الامامة كما توصلنا إليه.

ثم ان المراد بآل ابراهيم هم النبي وآله و ذلك لجملة من القرائن: - منها ان المقام هو الحاجة والحاسدين هم بنو اسرائيل وحسداهم للنبي ﷺ، و لو كان المراد انبياء بني اسرائيل لكان تقريراً لحجتهم لا دحضاً لها فلا بد ان آل ابراهيم لا يشمل بني اسحق.

- ان الناظر في الآيات الاخرى كقوله تعالى«وَ تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ» و وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَ نُوْحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» وَ ذَكَرْنَا وَ نَحْيَى وَ عِيسَى وَ الْيَسَى كُلٌّ مِنْ الصَّالِحِينَ * وَ إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطًا وَ كَلَّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ ذُرِّيَّتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ وَ اجْتَنَبْنَاهُمْ وَ هَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبْهَدَاهُمْ اِقْتَدِرْ فَلَا أَشْتَكَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ»^{١٣}

- وقوله تعالى: «وَ إِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ وَ * إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَ أَمْنًا وَ اخْتَدُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَ عَهْدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ» * وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأَتَمَّعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ * وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ»^{١٤}

وقوله تعالى «وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»^{١٥}

فإن ما في سورة الانعام دل على ان ابقاء هذا الاجتناء والحبوة الالهية في ذرية ابراهيم متصلة حتى النبي الخاتم ﷺ فإن يكفر بها أي بهذه النعم اللدنية الالهية (الكتاب والحكم والنبوة) فقد وكلنا... وهكذا في سورة البقرة أن الامامة متصلة في ذريته وهي ذرية اسماعيل وكذا ما في سورة الزخرف فإن كلمة التوحيد ونفي الشرك جعلها الله باقية في عقب ابراهيم متصلة، ومن الواضح أن الباقي على التوحيد ونفي الشرك إنما هو في عقب اسماعيل، وتدل كل هذه الآيات في السور على بقاء هذا الأمر والأمر بعد النبي الخاتم في ذريته التي هي ذرية اسماعيل وابراهيم (عليهما السلام) أيضا. فيستنتج ان الامامة في عقب ابراهيم و اسماعيل إلى النبي الخاتم ﷺ ثم في ذريته.

- قوله تعالى «إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا»،^{١٦} فهذا التشقيق الثلاثي الذين اتبعوه والنبي والذين آمنوا فهو اولى الناس باراهيم...

- إن ما ورد في دعاء اسماعيل عند بناء البيت العتيق واستجابة الدعاء وأن الامامة في ذريته. وهي الآية المتقدمة في سورة البقرة. وعلى كل حال فإن المتتبع لآي القرآن الكريم يقف على ان المراد من آل ابراهيم في اصطلاحه هم محمد وآله (عليهم السلام).

الهوامش:

١. سورة رعد، الآية ٧.
٢. سورة يونس، الآية ٣٥.
٣. سورة محمد، الآية ١٧.
٤. سورة الكهف، الآية ٢٤.
٥. سورة مريم ، الآية ٧٦.
٦. سورة طه، الآية ٨٣.
٧. سورة المائدة، الآية ٣.
٨. سورة المائدة ، الآية ٧٦.
٩. سورة النساء، الآية ٥٤.
١٠. سورة البقرة، الآية ١٢٤.
١١. سورة الانبياء، الآية ٧٣.
١٢. سورة الميزان، الآية ٣٧٧.
١٣. سورة الانعام، الآيات ٨٣-٩٠.
١٤. سورة البقرة، الآيات ١٢٤-١٢٩.
١٥. سورة الزخرف، الآية ٢٨.
١٦. سورة آل عمران، الآية ٦٨.

المصدر: الشيخ محمد السند، «الإمامة الإلهية».